

من روضه فتح مجد للبرکات و فی حکم الغزالی

کتاب التوبۃ

البُيُوتَةُ إِلَى اللَّهِ

وكمفراة الذنوب

الحجة الإسلامية أبو حامد الغزالي

روية وتحقيقه عليه
عبد اللطيف عانور

الحمد لله

للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماماش بالمرسى اوى - بولاق
القاهرة . ت : ٧٦١٥٦٢ - ٧٦٨٥٩١

AL-MUS TAFA.COM

كلمة المحقق

كثيراً ما أخلو — بين العين والحن — إلى مؤلفات « حجة الإسلام أبي حامد الغزالي » فأجد فيها راحة لقلبي ، وسكينة لنفسي ، وبخاصة ما يتعلق منها بالمنهجيات .

فلقد قرأت فيما قرأت عن التوبة والتائبين :

« أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به :

هل لي من توبة ؟ »

فأعرض عنه ابن مسعود ، ثم التفت إليه ، فرأى عينيه

تدرفان !!

فقال له :

« إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكاً مؤكلاً به لا يملك ، فاعمل ولا تيأس » .

ورأيت « إمامنا الغزالي » يضع التوبة على رأس المنهجيات في كتابه « إحياء علوم الدين » . ويتناول مكفريات الذنوب تناولاً رائداً ويقرد لهذا البحث كتاباً مستغلاً نظراً لأهميته وأثره في عاجل حياتنا وأجلها !!

ولست أعلم عليك - أيها القارئ العزيز - أن هذا الكتاب قد شغلني ، وملك عليّ جوارب نفسي ، حيث تصدى ، أبو حامد ، لشرح حقيقة التوبة ، وبيان شروطها ، ومبناها ، وعلاقتها وفروعها ، والآفات المانعة منها ، والأدوية الميسرة لها لما قد لا نجدّه مجتمعاً في كتاب !

وقلت في نفسي : من منا ليس في حاجة عاجلة إلى مراجعة نفسه ، والإقبال على ربه ، ليعوب إليه توبة نصوحاً ؟ ولكن كيف السبيل !!؟ وأين الطريق إلى ذلك الباب المفتوح .. ؟ باب التوبة !!؟

وهنا برزت فكرة إخراج هذا الكتاب .. لماذا لا نعهده للفكر ؟ ولِمَ لا يسره للذكر ؟ لنتبر لكل مسلم طريق التوبة حتى يكون مع الذين أنعم الله عليهم ورضى عنهم ورضوا عنه .

وما هوذا بين يديك ، فإن وفقنا فمن الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ،،،

عبد اللطيف عاشور

أول شعبان ١٤٠٦ هـ

١٠ من أبريل ١٩٨٦ م



دراسة التحقيق

- هذا الكتاب !
- المؤلف .
- عصره .
- مؤلفاته .
- حجة الإسلام العراقي مؤلفاً ومُجسِّداً .
- منهج التحقيق .

هذا الكتاب

نوع فريد متميز بين غيره من الكتب التي تناولت موضوع التوبة والتائبين ، فلقد كان مؤلفه حدها ، وحقيقتها ، ومسببها الذي به تجلب ، وغمرتها التي منها تستفاد ، وعلامتها التي بها تتعرف ، وفضلتها التي لأجلها فيها يرغب ، مع ما ورد فيها من فواهد الشرع والعدل .

وقد نجد من صنف في هذه لعالي كبراً ولكن المؤلف — وهو أعلم بما صنف — يقول

يمتاز هذا الكتاب عن تلك الكتب بخمسة أمور :

الأول — حل ما عقده ، وكشف ما أجهله .

الثاني : ترتيب ما بدأه ، ونظم ما فرقوه .

الثالث — إيجاز ما طوله ، وضبط ما قرروه .

الرابع — حذف ما كرروه ، وإثبات ما حرروه .

الخامس — تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الألفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً .

ومن أجل هذا كان حرصنا على حسن إعداد هذا الكتاب للنشر وتقديمه لقرائنا وما هو ذا بين يديك !

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينير لنا طريق التوبة ، وأن يحسن لنا من أمرنا وشأننا .



المؤلف أبو حامد الغزالي

- ولد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي في قرية «غزالة» من أعمال «طوس» سنة ٤٥٠ هـ ..
- تنقل في طلب العلم من «طوس» إلى «جرجان» و«نيسابور» حيث لازم إمام الحرمين الجويني، وصار من أخص تلاميذه.
- لقي الوزير «نظام الملك» بعد موت إمام الحرمين فعرف له مكانته، وأنزله نحو منزل، وفوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية «بغداد» بعد أن جرى بينه وبين العلماء مجادلات ومناظرات في عدة مجالس استوجبت إعجاب نظم الملك. وكان يحضر درسه نحو ثلاثمائة من كبار العلماء حيث كانت تشد إليه الرجال.
- ثم ترك الدنيا وزينتها وخرج من بغداد سالماً متصوفاً (عام ٤٨٨ هـ)، وبدأ بالرجوع ثم دخل الشام وأقام بها زاهداً، ول عزله ببلاد الشام ألف كتاب «الأحياء» ثم انتقل إلى بيت المقدس، ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ويقول «ابن خلكان» إنه قصد الركوب منها في البحر إلى بلاد المغرب للاجتماع بالأمير «يوسف بن تاشفين» صاحب «مراكش» فبلغه فيه، وعندئذ صرف هزمه عن تلك الناحية، وعاد إلى بغداد ثم خراسان.
- درس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة أخرى، ثم رجع إلى طوس، واتخذ إلى جانب درسه مدرسة للفقهاء، وخانقاه للصوفية.
- قسم وقته بين العبادة والتدريس ومجالسة المتصوفة إلى أن وافاه الأجل (سنة ٥٠٥ هـ) في مدينة الطبرستان قبة طوس بعد أن ملأ الدنيا علماً وفضلاً وخيراً.



عصر الإمام الغزالي

- (١) هو عصر السلاجقة الذين قاموا «سيرة أهل السنة على الشيعة».
 - (٢) وهو العصر الذي نشط فيه المباحث.
 - (٣) كما ازدهر العصر بأصحاب المذاهب الفلسفية المختلفة فلم يكن صعباً ولا غريباً أن يتصدى «حجة الإسلام» عدلي هؤلاء وأولئك.. بالرد.. والتفنيد.. والمناظرة ويعتبرها حرباً.. وحجج هجماته وغاراته على جبهات مختلفة كانت وسياته فيها المناظرة والجدل.. تأليف، والتصنيف.
- مؤلفاته :
- لو تصدينا لعدد مؤلفاته وحصرها لوجد أنها تزيد على السبعين مؤلفاً، منها ما رأى النور، ومنها ما لا يزال مخطوطة.. من مؤلفاته :
 - ١ - تهافت الفلاسفة.
 - ٢ - مقاصد الفلاسفة.
 - ٣ - عقيدة أهل السنة.
 - ٤ - فضائح الباطنية.
 - ٥ - فيصل الفرق بين الإسلام والزندقة.
 - ٦ - تنزيه القرآن عن الشطآن.
 - ٧ - الخير المسبوك في تصحيح للتوكل.
 - ٨ - مكاشفة القلوب.
 - ٩ - المنقذ من الضلال.



حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدداً

نستطيع أن نقسم عمل حجة الإسلام ، ونأخذه وتجديده في ناحيتين :
الأولى : نقده الفلسفة ومناقشته لها ، ومجده لعلم الكلام الذي فقد جدته وحياته .

الثانية : « الحجة » على المجتمع الإسلامي المعاصر ، والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية ، والروح ، والتعالي بالحقائق .

ويمثل الناحية الثانية كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » ، وقد صنف الغزالي هذا الكتاب ، وقد خرج من بغداد في طلب السعادة واليقين واشتغل بالعبادة والمجاهدة والانقطاع عن الناس . الغزالي إذ ذاك مصلح اجتماعي يخلص جزءاً من كتابه بذي الغرور يذكر فيه أصناف المقتربين ، وقرق كل صنف ، ذكر منهم المقتربين من أهل العلم ، وفرقهم ، والمفتريين من المتصوفة ، والمفتريين من أرباب الأموال وفرقهم ، وقد ذكر مناقذ الشيطان ومداخل النفس في هذه الطبقات وأصنافها وذكر من أفكارهم ومزاجهم وخصمهم النفسية ما لا يطلع عليها إلا عالم كبير من علماء النفس^(١) .

وقد انتقد العلماء والمشتغلين بالعلم في غلوائهم في الإكثار من الجزئيات الفقهية ، والخلافات ، والكلام ، والجدل ، والتمسك في العلوم الآتية : كالنحو واللغة ، والشعر والغريب ، والانهماك به .

(١) أبو الأعلى المودودي — حجة الإسلام الغزالي .

١٠ — ميزان العمل .

١١ — إلهام العوام عن علم الكلام .

١٢ — إحياء علوم الدين .

١٣ — الوسيط في علم الفقه .

١٤ — البسيط في علم الفقه .

١٥ — الوجيز في علم الفقه .

١٦ — الخلاصة في علم الفقه .

إلى غير ذلك من كتبه التي تصدت لحصرها قوائم الكتب والمخطوطات .



وانتقد الصوفية : بالاكفاء بحفظ أقوال المشايخ وأخبارهم ولاحظ أن هذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها .

فأما علم الطب والحساب والصناعات ، وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع ، فلا يعتقد أصحابها أنهم يتألفون المغفرة بها من حيث إنها علوم ، فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع .

ولقد ذكر من التباسات الصوفية ومبالغتهم شيئاً كثيراً يدل على إنصافه وتدقيقه .

وقد ذكر عن المغترين من أرباب الأموال طرائف وحقائق تدل على النظر العميق والفهم الديني الصحيح .

ويتجلى لنا ذلك من خلال حديثه عن غرور العامة وطوائف من الأغنياء والفقراء ، مما يحول دون « التوبة » ويعد المسلم عن الصراط المستقيم ويُتيح للشيطان أن يستحوذ عليهم وينسبهم ذكر الله ؛ فيصبحوا من حزبه !! وها هو ذا يفتح باب التوبة لكل هؤلاء وأولئك ليكونوا جميعاً على صراط مستقيم ، طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين . وإذا كان الإمام الغزالي قد حمل الغرور أس المهلكات فقد جعل التوبة على رأس المنجيات .

ويظهر الغزالي مصوراً حاذقاً يتناول بريشته البارعة بمجمع عصره فيصور مخالبه وقسمات وجهه ويحسم وقائمه وتجاعيده ويظهر في ذلك كله ذكاءً وسعة اطلاع ، ودقة ملاحظته وبراعة تصويره وسلامة تفكيره .



منهج التحقيق

- قدمت للكتاب ، وعلفت عليه بما يتيح لغيره المسلم معرفة أنواع الذنوب ومكفراتها وبيء له كيف يتوب منها .
- قسمت أركان الكتاب الأربعة إلى فصول ، وبذلت جهدي في اختيار العناوين الملائمة لها ليحسنى الإلمام بها ، بالانتفاع بكل ما جاء فيها .
- وضعت على مدخل كل ركن « مرآة » يرى فيها القاريء ما تضمنه ذلك الركن من أفكار ونقاط .
- قدمت للقاريء بياناً تفصيلياً بالذنوب التي منها تترب مع أقسام الناس في الآخرة طبقاً لما تناول الإمام الغزالي مما يساعد القاريء على الإلمام بالموضوع ، ويثير فيه مزيداً من الشوق إلى استيعابه على الوجه الأكمل .
- أخرجت الكتاب في صورته اللائقة وجعلته في متناول الجميع ، ليسهل تداوله ، والاستفادة مما تناولته .
- وها هو ذا ينظم إلى « إخوة له » من ربه حجج الإسلام الغزالي أصلها مكتبة القرآن .
- الزواج الإسلامي السعيد .
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .
- أصناف المغرورين .
- بداية الهداية .
- الأذكار والدعوات .



مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب ، وبذكره يهدى كل خطاب ،
وبحمده يتعمم أهل النعم في دار الثواب ، وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أُرْحى
دونهم للحجاب ، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب .

وتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ، ومسبب الأسباب . ونرجوه
رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . ونخرج الخوف برجائنا مزج من
لا يرتاب أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

ونصل على نبيه محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه ، صلاة نتقذنا من هول
المطلع يوم العرض والحساب ، ونحمد لنا عند الله زلفى وحسن مأب .

مبدأ طريق السالكين

أما بعد . فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى سائر العيوب وعلام
العيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المرئيين ؛
ومفتاح استقامة المائتين ، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ، ولأينا آدم
عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين . وما أجدر بالأولاد الاقتداء
بالآباء والأجداد ، فلا عرو أن أذنب الآدمي واجترم^(١) فبهي شنيئة يعرفها من
أخزم^(٢) ، ومن أشبه أباه فما ظلم ولكن الأب إذا جبر بعدما كسر وعمر بعد
(٢) اجترم : ارتكب ذنباً وعزماً .

(٣) الشنيئة : الطيمة والمادة . وهي بكسر الشين الأول والثالثة . وكان أعزم عاقلاً لأنه قدس ،
فوفى أولاده على جدهم فأدموه فقال : إن تبي خرجوني بالدم . و شنيئة أمرها من أعزم : فأصبح
الشر الثاني من البيت مثلاً يضرب في قرب الشبه . (تهذيب معجم الأمثال) .

أن هدم ، فليكن النزوع إليه في كلا طرفي النفس والإثبات ، والوجود والعزم
ولله قرع آدم سن الندم ، وتقدم على ما سبق منه وتقدم . فمن اتخذه قدوة في
الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم . بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة
المقربين ، والتجرد للشر دون التلاقي سجة الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد
الوقوع في الشر ضرورة الآدميين . فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك
الديان ، والتجرد للشر شيطان ، والتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة
إنسان فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبتان ، واضطرب فيه سجتان . وكل
عبد مصحح نسيه إما إلى الملك ، أو إلى آدم ، أو إلى الشيطان . فالتائب قد أقام
البرهان على صحة نسب إلى آدم بملازمة حد الإنسان . والمعسر على الطغيان
مسجل على نفسه بنسب الشيطان .

فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فمخرج عن حيز
الإمكان ، فإن الشر معجون مع الخير في حبة آدم عجناً محكماً ، لا يخلصه إلا
إحدى النارين ، نار الندم أو نار جهنم . فإحراق بالنار ضروري في تخليص
جوهر الإنسان من عبيات الشيطان ، وإليك الآن اختيار أهون النارين ،
والمجادرة إلى أخف الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار
الاضطرار ، إما إلى الجنة وإما إلى النار !!





تمهيد

إذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع ، وجب تقديمها في صدر ربح للنجيات يتبرح حقيقتها ، وشروطها ، وسببها ، وعلامتها ، وثمرتها ؛ والآفات المألفة منها ، والأدوية الميسرة لها . ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان :

الركن الأول : في نفس التوبة ، وبيان حدها ، وحقيقتها ، وأنها واجبة على الفور ، وعلى جميع الأشخاص ، وفي جميع الأحوال ، وأنها إذا صحت كانت مقبولة .

الركن الثاني : فيما عنه التوبة ، وهو الذنوب ، ربيان انقسامها إلى صفائر وكبائر ، وما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بحق الله تعالى ، وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات^(١) والسيئات ، وبيان الأسباب التي بها تعظم الصفائر .

الركن الثالث : في بيان شروط التوبة وجوامها ، وكيفية تدارك ما مضى من اللظام ، وكيفية تكفير الذنوب ، وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة .

الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة ، وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل .

(١) لأهل قبلية درجات على الحسنات . كما أن لأهل النار درجات على السيئات وقد جاء القرآن بهذا ﴿ إن المظالم في الدرك الأسفل من النار ﴾ . ﴿ ولكل درجات ما عملوا ﴾ [الأحزاب : ١٩] .

الركن الأول

في نفس التوبة

- بيان حقيقة التوبة وحدها .
- بيان وجوب التوبة وفضلها .
- بيان أن التوبة واجبة على الفور .
- بيان أن التوبة واجبة على جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال .
- بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة !!



الفصل الأول

بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى يتظم ويتلوه من ثلاثة أمور مرتبة : علم .
وحال . وفعل . فالعلم الأول ، والحال الثاني ، والفعل الثالث ، والأول موجب
للتاني ، والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاه امر مدرسة الله في الملك والملكوت .

أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب . كونها حجاً بين العبد وبين
كل محبوب . فإذا عرف ذلك معرفة محقة . يسر غالب على قلبه ، ثار من هذه
المعرفة غالم للقلب بسبب فوات الغيوب . فإن أظلم مهما شعر بفوات محبوبه
تألم . فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل ففوت ، فيسمى تألمه بسبب فعله
المفوت محبوبة نداماً . فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى ، انبعث بالحال ،
وبالماضي ، وبالاستقبال . أما تعلقه بالحال ، فالتذكير للذنوب الذي كان ملازماً
وأما بالاستقبال ، فبالعزم على ترك الذنوب لئلا يؤول للمحسوب إلى آخر العمر .
وأما بالماضي ، فيتلافى ما فات بالخير والقضاء ، إن كان قابلاً للخير فالعلم هو
الأول . وهو مطلع هذه الحيرات . وأعني بهذا العلم الإيمان واليقين . فإن
الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة ، واليقين عبارة عن تأكيد
هذا التصديق ، وانتفاء الشك عنه ، واستيلاءه على القلب ، فيشمر نور هذا
الإيمان مهما أشرق على القلب ناز الدنم . فيتم ما القلب حيث يصير بإشراق
نور الإيمان أنه صار محجوباً عن محبوبه ، كس بشرق عليه نور الشمس وقد
كان في ظلمة ، فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب ، أو انقصار حجاب ، فرأى
محبوبه وقد أشرف على الهلاك ، فشتعل نيران الحب في قلبه ، وتبعث تلك
النيران بإرادته للاتيهاض للتدارك .

معها وسدده، واعتقد بسعي بترك في المحل والاستقبال واللاق
بماضي، ثلاثة مع مرتبة في الحصول، فيطلق اسم التوبة على مجموعها
وكثيراً ما يسمى به اسم التوبة عن معي للدم وحده، ويجعل العلم كالسائق
والقصد، وترك كاسرة والتابع المتأخر. وهذا الاعتبار قال عليه الصلاة
وسلام: "التوبة ثوبه، إذا لا يجزى الدم عن عظم وجهه ونوره، وعن عزم
بعضه وسوءه، فيكون الدم محسوفاً بطريقه، أعني ثمرته ومشعره، وهذا الاعتبار
قيل في حديث التوبة أنه: "قوبان الحشا لما سبق من الخطايا". فإن هذا يترجم
شرد لأم، وسدت قل هو دار في القلب تنهب، وصدع في الكبد
لا يشعب". واعتبر معنى التوبة قبل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء
ونشر بياض الوفاء. وقال سهل بن عبد الله التستري: "توبة تبدل الحركات
المدمومة بالحركات المضمومة. ولا يمت ذلك إلا بالخشوة، والصمت، وأكل
الخلل. وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة

والأقوال في حدود التوبة لا تنحصر. وإذا فهبت هذه المعاني الثلاثة،
وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع
معانيها. وطلب العلم بمقتضى الأمور أهم من طلب الأعداد عرده



(٥) حديث التوبة بوجهين: من جهة والى حبل، والخاتم وصحاح اصطلاحه من حديث ابن مسعود ورواه ابن
حبش، وحديث آخر حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين
(٦) عريجه (٧) الصدع السق، والانشاب، الالفة



الفصل الثاني

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم أن وجوب التوبة صاهر للأخبار والآيات، وهو واضح من
الصورة عند من اعلم بتمييزه، وشرح الله حرر الإسلام صدره حتى أصدر
عن أن يسمى سورة الذي من يديه في طمس جهل، مسبباً عن ذلك يهوده
في كل حصوة، فاستأثرت إمامي لا يسمعون عن عائد في حصوة، وما شدد
يهدى إلى نور، صفة ثم يهدى نفسه، كحديث من في صديق من
يتسمون هذا الانقسام، فمن قاصر لا يقص عن محبة نفسه في حصوة،
يفقر من أن يسمع في كل دم مصاً من كتابه من سنة رسوله، ورواه بحوره
دع فيحترق فيسر هذا نور من عمره وحسن حده محض، وحده وسره
ومن بعد شرح الله صدره للإسلام، فقد غنى نور من ربه، فله ندى
بشارة سموك صديق معوضه، وقطع عدت معه، وبشرى في قلبه نور شراب
ونور الإيمان. وهو لشدة نور باطنه يخترقه، من بيان، فكانه يكاد زيته يهوى
ولو لم تمشه ناز، فإذا مشته ناز فهو نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء
وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة.

(٨) حديث الأخبار العالي على وجوب التوبة: صلح من حديث الأثر الذي يأتى الناس توبوا إلى الله
الحديث: والذين من جهة من حديث جابر يأتى الناس توبوا إلى ربكم قبل أن يموتوا - الحديث - وسند
صحيح

ماذا يفعل من أراد أن يعرف وجوب التوبة ؟

من هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة ، فليطوّل أولاً بطور البصيرة في التوبة ما هي ، ثم إلى وجوبها من بعد ، ثم يجمع بين معنى الوجوب والوجبة ، فلا يشتد في توبته ما يوجب له معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد ، ونجاة من هلاك الآخرة ، فله لولا تعدد السعادة والسوءة بفعل الشيء وتركه ، لم يكن لوصفه بكونه واجباً معنى . وقول لغائب صار واجباً بالإيجاب حديث محض ، فإن ما لا غرض لنا آجلاً وعاجلاً في فعله وتركه ، فلا معنى لاشتغاف به أو جبه عليها غيرة أو لم يوجهه . فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد ، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالى ، وأن كل محبوب عنه يشقى لا محالة ، يحول به وبين ما يشتهي ، يخترق بندر الفراق ونار الجحيم وعدم أنه لا يبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات ، والأسى بهذا لقاء العاني ، والإكباب على حب ما لا بد من رفقته فضلاً ، وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قمع علاقة القلب عن زخارف هذا العالم ، والإقبال بسكية على الله سبحانه لا بأس به بدوام ذكره ، وللمسحبة له بمعرفة جلاله وجهله على قدر طاقته .

لزوم التوبة للعبد

وعلم أن الذنوب التي هي إغراض عن الله ، واتباع خباب الشياطين أعداء الله المبشرين عن حضرة ، سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله تعالى ، فلا يشتد في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب ، وإنما يتم الانصراف بالعلم ، والدم ، والعزم فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن

المحبوب لم يدم ، ولم يتوسّع سبب منكرته في طريق العبد ، وما لم يتوسّع ما يرجع . ومعنى الرجوع الترتب والعزم فلا بد من أن يبعد عن الثلاثة ضرورة في الوصول إلى المحبوب . ويمكننا بكون الإلهام الحاصل عن نور البصيرة ، وأن من لم يتوسّع لئلا هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق ، فهي والانحياز له مجال رحب ، يتوسّل به إلى السعادة من الهلاك ، فليلاحظ فيه قول الله ، وقول رسوله ، « قُلْ لِّلَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَعَنَةُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿١٠٠﴾ وَتَوَنَّبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَلَيْهَا الَّتِي آمَنُوا لَعَلَّكُمْ لَافْلَحُونَ ﴿١٠١﴾ » وهذا أمر على العموم . وقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَنَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً قَصُوحاً ﴾ (١٠٢) الآية ، ومعنى الصراح الخالص لله تعالى خالياً عن لشوائب مأخوذ من الصريح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١٠٣) ومن عليه السلام : « الثالث حب الله والثالث من الذنوب كمن لا ذنب له » .

فرح الله بتوبة العبد

وقال رسول الله ﷺ : « الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرضه دويّة مهنكة » (١٠٤) معه راحته عليها طعمته وشراؤه فروع رأسه هام

(١٠٤) التوبة

(١٠٥) البقرة . ٢٢٢

(١٠٦) التوبة : ٨٠

(١٠٧) حديث الثالث حب الله والثالث من الذنوب كمن لا ذنب له : ابن ماجه عن حديث ابن مسعود بالخط الثاني دون الأول وإنما الخط الأول فروى ابن جرير الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب التوابع من حديث أبي بصير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أحب الله أحب العبد المؤمن لفتن التوب »

(١٠٨) حديث في الفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرضه دويّة مهنكة : الحديث . عمن عليه من حديث ابن مسعود وأبي رافع مسلم في حديث أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أحب الله أحب العبد المؤمن لفتن التوب »

(١٠٩) سورة البقرة . ٢٢٢

نَزَمَهُ فَاسْتَقْبَلَ وَفَدَّ دَهْشَ رَاحِلَتِهِ فَطَبِهَا حَتَّى إِذَا انْتَبَذَ عَلَيْهِ الْخَرُّ وَالْعَطَشُ
أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَائِي الَّذِي تَخْتَفِي فِيهِ فَتَأْتِمُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ
رَأْسَهُ عِنْدَ سَاحِلِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَقْبَلَ فَبَادَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ عَلَيْهَا زَاذَةٌ وَضَرَابَةٌ فَاللَّهُ
تَعَالَى أَشَدُّ عَرَا بَتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ قَرِ
بِ شِدَّةِ فَرَحَةٍ ، إِذَا أَرَادَ شُكْرَ اللَّهِ ، أَنَا رَبِّكَ وَأَنْتَ عَبْدِي .

ويروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام : هأنه
اللائكة ، وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام . فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة
الله عليك . فقال آدم عليه السلام : يا جبريل ، أين كان بعد هذه التوبة سؤال
فأين مقامي ؟ فأوحى الله إليه يا آدم ، ورثت ذريتك التعب والعصب ، وورثتهم
التوبة . فمن دعاني منهم ليت كما ليث ، ومن سألى المعرفة لم أخل عليه ، لأن
قريب محبب يا آدم ، وأحشر النائيين من المتور مسشربين صاحكين ،
ودعائهم مستجاب . والأخير والآخرة في ذلك لا تحصى ، والإجماع معقد من
الأمة على وجوبها ، إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من
الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ، ولكن قد تدهش الخلة عنه فمعنى
هذا العلم إزالة هذه المعية ، ولا خلاف في وجوبها .

ومن معانيها ترك المعاصي في الحال ، والتمس على تركها في الاستقبال ،
وتلوك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال ، ودلت لا يشك في وجوبها وأما
العدم على ما سبق ، وسحره عليه . فوجب وهو روح النوبة ، وله نعم
التلاق . فكيف لا يكون واجبا ! بل هو نوع ألم يحصل لا محالة ، عقوب حقيقة
المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله .

فإن قلت : تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار ، فكيف
يوصف بالوجوب ؟

فأعني أن سببه تحقيق العلم بقوات المحبوب . وله سبيل إلى تحصيل سببه .
ومثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب ، لا بمعنى أن العلم بمختلفه العبد

وجدته في نفسه . فإن ذلك محال . بل همه والندم ، وبعث ، وإلا . . .
ومعذره ، والندم ، الكل من حور به وبعثه الله حقيقة وما
تفعلون . . . هو الحق عبد دون عبائر ومسيرى هه صلا

بحث في أفضل العبد وهل له اختيار

قد سب أقسى لعبد الحور . . . جعل والبرك ؟ قد معه وودت
لا يافض قوما إن الكل من خلق الله تعالى . بل الأحب أفض من حب الله
وأبعد مضطر في الأحيار الذي به فله من حب الله الصحيح ، وحق
العدم السب ، وحق السبوة بفضله في هذه ، وحق العلم في سب الله .
أعده بسكن الشهوة ، وحق خواص معرفة في أن هذا صفة هل فيه
مصرة مع أنه بسكن الشهوة ، وهل دور ، به مانع يعبر معه تأويله ثم لا ، ثم
حق العلم بأنه لا مانع ، ثم عند احتياج منه لأسباب سحر لإرادة الدعته على
النول . عزم الإرادة بعد تردد الحور . معرفة وبعد وقوع الشهوة
لنعدم يسمى احباراً ، ولا بد من حصة عند عدم أسسه . وإذا حصل حرام
الإرادة بحق الله تعالى به ، تحركت له صحيحه . به جهة التقدم لا محالة
إذ بعد تمام الإرادة والقسرة ، يكون حصل العمل ضرورياً فتحصل الحركة ،
فيكون الحركة بحق الله بعد حصول المدة والحرام لا ادة ، وهما أيضاً من
حق الله . وحرام الإرادة يحصل بعد صدق شهوة . والعلم بعدم النوع ،
وهما أيضاً من خلق الله تعالى . ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض
تربياً حرت به مئة الله تعالى في خلقه . من تعد مئة الله تبديلاً . فلا يخلق الله
حركته اليد بكافة مضطومه ما لم يخلق فيه مئة سمي قدرة ، وما لم يخلق فيه
حبة ، وما لم يخلق إرادته محرومة . ولا يخلق الإرادة المحرومة ما لم يخلق شهوة

وميلاً في انفس ولا يبعث هذا اسل ابتداءً تارة ما لم يخلق عند تارة موافق
نفسه، بل في الخلق أو في . . . ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخرى
ترجع إلى حركة وإرادة وعقل فالعلم والنس الطبيعي أبداً يستمع الإرادة
الجارمة، والقدرة والإرادة أبداً تسترشد الحركة، وهكذا ترتيب في كل
عمل. والكل من اختراع الله تعالى. ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض
فذلك يجب بقده البعض وتأخر البعض، كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم.

ولا يخلق العلم إلا بعد الخصة، ولا يخلق الخلق إلا بعد الجسم. فيكون خلق
الجسم شرط لحيث الحياة، لأن أحد تولد من الخصة. ويكون خلق الحياة
شرطاً لخلق العلم، لأن العلم يوجد من الحياة. ولكن لا يستعمل العلم ليقول
العلم إلا إذا كان حياً، ويكون خلق العلم شرطاً لحرم الإرادة، لأن العلم
يولد إرادة. ولكن لا يقبل الإرادة إلا جسم حتى عدم ولا يدخل في الوجود
إلا ممكن، ولإمكان ترتيب لا يقبل العير، لأن تغييره محال فمهما وجد
شرط الوصف استند الخلق به لقبول الوصف، فحصل ذلك الوصف من الجود
الإلهي والقدرة الأولية عند حصول الاستعداد. ولما كان الاستعداد بسبب
الشروط ترتيب، كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب. والعبء مجرى
هذه الحوادث المرتبة: وهي مرتبة في قضاء الله على الذي هو واحد كمنهج
سبب ترتيباً كنياً لا يعبر. وصورها باعصاف مقدر بقدر لا يتعداها. وعه

المبارة بقوله تعالى ﴿إِذَا كُلُّ شَيْءٍ خَلْقًا يَقْدِرُ﴾^(١٧) وعن انقضاء الكين
الأولي العبارة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَمَفْجٍ بِالْهَرَجِ﴾^(١٨) وأما
العباد فإنهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر. ومن جهة القدر يخلق
حركة في يد الكاتب، بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد
خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى
الإدراك والمعرفة.

فقد ظهرت من وجهي سكوت . . . لا يلهي على جسمه من سحر
نفس القدر، سبق أول علمه . . . لا يلهي على جسمه من سحر
والسكوت وقدره بأية روح. قد حرك . . . لا يلهي على جسمه من سحر
و . . . لا يلهي على جسمه من سحر . . . لا يلهي على جسمه من سحر
وهي . . . لا يلهي على جسمه من سحر . . . لا يلهي على جسمه من سحر
وبعد هذا سحر السكوت في جسمه . . . لا يلهي على جسمه من سحر
نفس، وهو . . . لا يلهي على جسمه من سحر . . . لا يلهي على جسمه من سحر
فقد هو . . . لا يلهي على جسمه من سحر . . . لا يلهي على جسمه من سحر
وحد صديق من وجهه. وأن تقصرو . . . لا يلهي على جسمه من سحر
كأنه قد الأمر، وقد جعله حوسبه . . . لا يلهي على جسمه من سحر
بذلك من عدم يجب وأنه من عدم يجب . . . لا يلهي على جسمه من سحر
إلا من رضى من رسول . . . لا يلهي على جسمه من سحر . . . لا يلهي على جسمه من سحر

سِرّ التنزي

ومن حرك سببه لأبداً . . . لا يلهي على جسمه من سحر . . . لا يلهي على جسمه من سحر
ارتداد صاحب سببه لأبداً . . . لا يلهي على جسمه من سحر . . . لا يلهي على جسمه من سحر
لأحد إلا الله، ولا مدح سوره

فقد قد قد قصت على كل واحد من اثنين حبر، والاختراع . . .
والكسب، أنه صادق من وجهه، وهو مع مدحة قصر، وقد تدفص، فكيف
يمكن فهم ذلك؟ وهل يمكن يفسر ذلك من لأفهامهم؟

وعلم أن جملة من العباد قد سمعوا . . . لا يلهي على جسمه من سحر
يسمى الفيل، وما كان قد شهدوا صوره . . . لا يلهي على جسمه من سحر

من مشاهدته ومعرفة بالشيء الذي تفتقر عليه، ففهمنا أننا وصلنا إلى
مراد فوقع به بعض بعض عن رغبة ووقع به بعضه على ذاته ووقع به
بعضه على ذاته فتدبر في عرفة الله عز وجل - هو الله عز وجل -
وحسب أحسنه الله تعالى لمن رغب إلى الله تعالى - لا من سطوته
حسبه قدره، لأنه إن رغب إلى الله تعالى من رغب من رغب - كما يقولون -
هو حسب لآل فيه، وإنما لا حسبه فيه، وليس في عطف لأستفاده
تعالى، بل هو من عباد الله تعالى لأن الله تعالى قد رغب إليه
حسبه فصدق أحسنه فيه ولكن في رغبته من عباد الله تعالى ولا هو من
عباده، بل هو من رغب إلى الله تعالى وحده من هؤلاء، فصدق من
وجه، إذ أحسن كل واحد عباد الله من معرفة رغبته، وقد خرج واحد في حده
عن وصف القيل والقال، ولكنه حديثه قصير، عن إحصائه بكنه عبادة رغب
أحضر هذا المثال وغيره، فيه من أثره من حيث رغبته في رغبته
هذا كلاماً يسطح عيون المكاشفة وجرث أمواج - - - دلت من عرف

وجوب التوبة بجميع أجزائها

فليرجع إلى ما كنا بصدده وهو ينادي أن التوبة واجبة لجميع أجزائها الثلاثة . العلم ، والندم ، والترك ، وأن الندم داخل في الوجوب ، كونه واقع في حمة فعل الله المحصورة بين علم العبد ، وإدته ، وفسرته المتخللة بينها ، وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشملها .



الفصل الثالث

بيان أن وجوب التوبة على الفور

أما وجوبها على النور فلا يستتاب فيه . إذ معرفة كَوْن المعاصي مهلكات
من نفس الإيمان ، وهو واجب على النور ، وانقضى عن وجوبه هو الذي عرفه
معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه . فإن هذه المعرفة ليست من علوم
المكاشفات التي لا تتعلق بعمل ، بل هي من علوم المعاملة . وكل علم يراد
ليكون باعثاً على عمل فلا يقع التفصي عن عهده عالم بصير باعثاً عليه . فالعلم
بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو غافد لها
الجزء من الإيمان . وهو المراد بقوله عليه السلام (^١) " لا يُؤْمِنُ الرَّأْيِي جِئَن
يُؤْمِنُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ " وما أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة ،
كالعلم بالله ، ووحدانيته ، بصفاته ، وكتبه ، ورسله ، فإن ذلك لا يعميه الرنا
ومدعى وإنما أراد به نفي الإيمان لكونه من بعد عن شئ تعالى موحياً
لسمعت . كما إذا قال الطبيب : هذا سم فلا تتنوله فإذا تناوله يقال تناور وهو
غير مؤمن ، لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود مسبب ، وكونه صيباً وغير مصدق
به . بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك . فإن العالم بالسم لا يتنوله
أصلاً . فالمعصي بفسقورة نفس الإيمان وليس الإيمان به واحد ، بل هو
سب وسبعون بأن ، أعلاها شهادة لا إله إلا الله ، وأدناها إمضاء الأدنى عن
الصريح . ومثاله قول الثوري . ليس الإيمان موجوداً واحداً ، بل هو سبع
وسبعون موحداً ، أعلاها القلب والروح وأدناها إمضاء الأدنى عن البشرية ،
بأن يكون مقصود الشارب ، مقلوم الأضمار ، نقي البشرية من الخبث ، حتى

(۲۰) حدیث لا یزال جوی بزی و هو مزی متعلق ہے۔ من حدیث ابن عمرؓ

يسير عن اليهام مرساة الموت بآرائها المسكرمة الصو، بطور محالها
وأطرافها

وهذا مثل مضائق: بالإيمان كالإيمان، وفعل شهادة التوحيد يوجب
البطالان بالكلية كمقد الروح، والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو
كإنسان مقصوع الأطراف معقوء العين، فاقد لجميع أعضائه الباطنة
والظاهرة، لا أصل الروح. وكأن من هذا حاله قريب من أن يموت، فرائه
الروح الصحيمة، المنردة، التي تحب عنها الأعضاء التي عندها وتقربها،
فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان، وهو مقصر في الأعمال، قريب من أن
تقتنع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة، بحركة الإيمان في معدمة قدوم
موت الموت ووروده. فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله، ولم ينشأ في
الأعمال مروع، لم يثبت على خواص الأحوال عند ظهور ناحية ملك
الموت، وخيف عليه سوء الخاتمة، لا ما يستقى بالطاعات على توالي الأيام
والساعات، حتى رسخ وثبت. وقول العاصي للمطيع: إني مؤمن كما أنت
مؤمن، كقول شجرة القرم لشجرة الصوبير أو شجرة وأنت شجرة
وما أحسن جواب شجرة الصوبير إذ قالت: ستعرفين عترتك بشمول الاسم
إذا عصمت رياح الخريف، فعند ذلك تنقطع أصولك، وتنتثر أوراقك،
ويتكشف غرورك بالمشاركة في أسم الشجرة مع العفة عن أسباب ثبوت
الأشجار.

وسوف ترى إذا انحنى العاز أفرس لحظك أم جمار

وهذا امر يظهر عند الخاتمة، وإنما انقطع لياط العابدين خوفاً من دواعي الموت
ومقدماته الخائفة، التي لا يثبت عليها إلا الأتقين. بالعاصي إذا كان لا يخاف
الجنود في النار بسبب مصيته، كاصحيح المنهك ل الشهوات المصرة إذا كان
لا يدف موت بسبب صحته. وإن الموت غالباً لا يقع فجأة، فيقبل به
الصحيح بخاف امراض، ثم إذا مرض خاف الموت وكذلك العاصي يخاف سوء

(٢١) ص ٨٠، ٩، ١٠

لخمة، ثم يد حتم به بالسوء والعهد به بسب الجنود في النار بالمعصي للإيمان
كأكثر كولات المنصة بالأيدي، فلا تزال حية في الدفن حتى تغير مرج الأخطار
وهو لا يشعر بها، إلى أن يفسد المرج، يفسد دفعه، ثم يموت دفعه وكذلك
العاصي فإذا كان الخائف من الهلاك، هذه الدنيا تنقصية يجب عليه ترك
السموم، وما يضره من المأكولات في كل شيء وعلى العور، فالخائف من هلاك الأبد
أولى بأن يجب عليه، وإذا كان متواثلاً الله إذا قدم يجب عليه أن يتقياً، ويرجع
عن تدوئه بإبطاله وإخراجه عن المعصية، من سبيل الصبر والندارة، ثلاثاً يبدنه
استشرى على هلاكه لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا العابرة، فتتأول محوم الدين وهي
الدنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنه، فتدركه المصير، مادام يبقى للتدراك
مهلة وهو العمر، فإن اغترب من هذا الله هوان الأثرة الباقية، التي قد سعي
المقيم، والملك العظيم، وفي هذا سر حليم، وعذاب عظيم الذي ينصره
أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشر مرة، يدس منه حر الله هائلاً
البدن إلى التوبة، قبل أن تصل محوم الموت بروح الإيمان عملاً يحور الأمر فيه
الأطباء واختيارهم، ولا يرفع بعده الامتلاء، فلا ينجع بعد ذلك نصيح
الناصحين، ويعطى الرغبتين، وتحم الكعب عليه بأنه من الهالكين، ويحل تحب
عموه قوة تدن لله إنا جعلنا في أصدانهم أعلا لا يهي إلى الأذقان فهم
مقصحون وجعلنا من بين أيديهم سد من خلفهم سداً فغشيتهم فهم لا
يتصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولا يعرفون
نعت الإيمان فتقول المراد بآية الكفر يدبر مث أن إيمان صعب وسعود
بأباً، وأن الرائي لا يرى حيث يرى وهو يؤمن. فدعجوب عن الإيمان الذي هو
شعب وفروع صحيح في الخاتمة عن إيمان الذي هو أصل. كما أن الشخص
المعاند لجميع الأطراف التي هي حروب ومروع، يسبق إلى الموت للمعلم
للروح التي هي أصل، فلا يقاء للإمام دون الموع، ولا وجود للفرع دون



الفصل الرابع

، أن وجوب لتوبة عام
ولأن حوطاً فيه ينفك عنه أحد البتة

قد ورد غير هذا إله من الله وتوبوا إلى الله
ممكنة تفصحون في الله مع الخلفاء وور الصيرة أيضاً
وهو الرجوع عن الله عن الله عن الله، فحرب من

لا من عقل، ولا تدن من غيره عقل لا بعد كان عريفة
سائر اصعدت الله من الله هي وسائل الشيعة إلى
الاعتقالات يكون من مقاربه لأرباب وأصداء يحيط
، وسدديه تظهر من سبع سنين، والشهوات جنود
جنود الملائكة، فإذا جمعوا قام الله به بالضرورة،
لآخر لأتباعه ضللك، التطرد بينهما كانتطارد بين الليل
لمعة. ومهما علب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة. وإذا
أمل في الصبا والشهوات قبل كمال العمل، فقد سبق جند
على المكائ، ووقى القلب به أنس، وألف لاهجاة
بالعده. وغيب قلبه به، ويعسر عليه الرجوع عنه، ثم
و حزب الله وجنته. وبعد أولياته من أيدي أعدائه شيء
فإن لم يتق ولم يحكم. سلست ملكه القلب للشيطان،

الأصل ، ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد ، وهو أن وجود الفرع
بدونه جميعاً يستدعي وجود الأصل ، وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود
فرع منه الأصل بالفرع ، ووجود الفرع بالأصل ، فعلم الشكاشة وعلوه
العامية كتلازم الأصل والفرع ، فلا يستغني أحدهما عن الآخر . وب
كل أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة فرع . وعموم المعنى إذ لم يكن
باعثة على العمل فعدمها غير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي ترد
له . قامت مؤيدة للحجة على صاحبها . ولذلك يزداد في عذاب العالم العاجز على
عقاب الجليل العاجز . كما أوردنا من الأخبار في كتابنا أعلم



الفصل الرابع

بيان أن وجوب التوبة عام

في الأشخاص والأحوال في يثربك عنه أحد البتة

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هـ . في تعدي (وثنوا إلى الله
حيث أيها المؤمنون لعنكم نضجود كـ . مع حاسب وبنو السيرة يـ
يرشد إليه . معنى سوره يـ حـ . في مع من الله . مغرب و
شبهه .

ولا يتصور ذلك إلا من جهل، ولا بد من غيره عند الاستدلال على غيره.
الشهوة، والعصب وسائر الحركات البدنية هي هي وسائل شيطانية
إغواء الإنسان، إذ كان العقل إذاً يكون ما ينبغي له أن يكون، ووجهه
عند مراقبة البلوغ، ومبادئه نصير إلى سبيل سيرة، وسهوات جود
الشيطان، والعقول جنود الملائكة، فإذا جمعا قام القلب بينهما بالتصورية،
إذ لا يثبت أحدهما للأخر لألها ضغائن، وتتوارد بينهما كالتصوير بين الليل
والنهار، والنور والظلمة. ومهما غلب أحدهم أزعج الآخر بالضرورة. وإذا
كانت الشهوات تكمل في العباد والشعب في كمال العمل، فقد سبق جند
الشيطان، واستول على المكان، ووقع القلب به أسيراً، وألف لاهالة
مقتضيات الشهوات بالعادة. وغلب ذلك عليه، وبصر عينه الروع عنه. ثم
يلوح العقل الذي هو حبيب الله وجنته، ومفد أوليائه من أيدي أعدائه شيئاً
مشتتاً على التدريج، فإن لم يقو ولم يكسب، سميت ملكة القلب للشيطان،

وأمر اللعين موعده حيث قل ﴿لَا تُجِيبُنَّ دُعَاةَ قَوْمِكُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ورد كسر العتل وقوى ، كان أول شعله قمع حدود الشهوة بكسر سهوت . ومعرفة بعدت ، ورد الصبح على سبب التغير إلى العبدات ولا معنى حسنة لا هذا ، وهو الرجوع عن طريق ، دسه الشهوة ، وحتمه شهوة ، إن صديق الله تعالى وليس في موجود آدمي إلا وسهولة سابقة عن عنه . وشريفة نبي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملاذثة ، فكأن رجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضرورياً في حق كل إنسان ، نبياً كان أو عبداً ، فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام . وقد قيل .

فلا تحسبن هداً لها العذر وحدها مسجاة نفس كل غانية هذا

بل هو حكم أزل مكتوب على جس الإسم ، لا يمكن فرض خلافه ما لم تبدل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها . فإذا كل من بلغ كاهراً جاهلاً معية التوبة من جهله وكفره . فإذا بلغ مسلماً تبعاً لأبيه ، غفلاً عن حقيقة إسلامه ، فعليه التوبة من غفلته بضم معنى الإسلام ، فإنه لا يفي عنه إسلام أبوه شيئاً ما لم يسلم بنفسه ، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلمه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف ، بالرجوع إلى ذنب حدود الله في المنع والإصلاح ، والامتناع ، والاسترسال ، وهو من أشق أبواب التوبة ، وفيه هلك الأكثرين ، إذ عجزوا عنه . وكل هذا رجوع وتوبة .

فهل أن التوبة فرض عين في حق كل شخص ، لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر ، كما لم يستغنى آدم . فخلقته الولد لا تتسع لما لم يتسع له خلقه الولد أصلاً .

وأما بيان وجوبها على الدوام ، وفي كل حال ، فهو أن كل بشر فلا يخلو من معصية يجوز له . إذ لم يخل عنه الأنبياء ، كما ورد في القرآن والأخبار من

عظايا الأنبياء ، وتوبيخهم ، وبكائهم على خطاياهم . فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الغم بالتوبة بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن الغم ، فلا يخلو عن وسوسة الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله . فإن خلا عنه ، فلا يخلو عن غفلة وتصور في الغم بالله ، وصداقته ، وأفعاله وكل ذلك نقص . وله أسباب ، وترك أسبابه بالتشاغل بأصداقها رجوع عن طريق إلى ضلاله والمراد بالتوبة الرجوع . ولا يتصور الخلو في حق آدمي عن هذا النقص . وإنما يتفاوتون في المقدار . فاما الأصل فلا بد منه . ولهذا قال عليه السلام : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي قَلْبِي حَتَّى أَسْتَغْفِرَ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَتِينَ مَرَّةً﴾ . الحديث . ولذلك سكره الله تعالى بأن قل ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ . وإذا كان هذا حاله ، فكيف حال غيره ؟

فإن قلت : لا ينبغي أن ما يقرأ على القلب من عموم والخواطر نقص ، وأن الكمال في الخبوع عنه ، وأن انقصور عن معرفة الله خلال الله نقص ، وأنه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال ، وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب انقصال رجوع ، والرجوع توبة ، ولكن هذه فصائل لا مرائص ، وقد أطنقت القول بوجوب التوبة في كل حال ، والتوبة من هذه الأمور ليست بواجبة ، إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع . فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال ؟

ما علم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مائة خلقة من اتباع الشهوات أصلاً ، وليس معنى التوبة تركها قطعاً ، بل تمام توبة بتدراك ما مضى ، وكل شهوة أتبعها الإنسان لارتفع منها ظلمة إلى قلبه ، كما يرتفع عن نفس الإنسان خسة إلى وجه المرأة الصقيمة . فإن تراكت خسة الشهوات صار ربها ، كما

(٢٤) حديث إنه لعنان علي بن أبي طالب في اليوم والليلة سبع مرة : مسلم من حديث الأثر الأول إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكذا عند أبي جعفر والبخاري من حديث أبي هريرة إلى أن استقر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي رواية البيهقي في التفسير سبعين لم يخل أكثر وتقدم في الأذكار والمهمات .

يصير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه غيظاً، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ
وَأَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢٧) فإذا تراكم الريح صار طبعاً (٢٨)،
فيطبع على قلبه، كالخشب على وجه المرأة إذا تراكم وحال زمانه، خاص في جرم
الحديد وأصد، وصار لا يقبل الصقل بعده، وصار كالمنطوق من الخشب.
ولا يكفى في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل، بل لا بد من محو تلك
الأريكان التي انطبعت في القلب، كما لا يكفى في ظهور الصور في المرأة قطع
الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل، ما لم يشتغل بمحو ما انطبعت
فيها من الأريكان. وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات، ليرتفع
إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتمحي ظلمة انحصية بنور الطاعة وإليه
الإشارة بقوله عليه السلام (٢٩): «أُتِيَ السَّيِّئَةُ الْمُحْسِنَةُ فَمَحَاهَا».

فإذا لا يستعنى العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه،
بمباشرة حسات تصاد آثارها آثار السيئات هذا في قلب حصل أولاً صفاته
وجلاؤه، ثم أضلهم بأسباب عارضة.

فأما التصقل الأول ففيه بطول الصقل، إذ ليس شغل الصقل في إزالة
الصدا عن المرأة كمشغله في عمل أصل المرأة. فهذه أشغال طويلة لا تنقطع
أصلاً. وكل ذلك يرجع إلى التوبة.

فأما قولك: إن هذا لا يسمى واجباً، بل هو فضل وطلب كمال، فاعلم أن
الواجب له معنيان أحدهما: ما يدخل في حوى الشرع، ويشترك فيه كرامة
الخلق، وهو القدر الذي لو اشتغل به كرامة الخلق لم يخرّب العالم، فلو كلف
الناس كنهم أن يتقوا الله حتى تقائه لتركوا المعاش، ورفضوا الدنيا بالكفة. ثم
يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكفة، فإنه مهما فسدت المعاش لم يفرغ

(٢٦) انطعش : ١٤

(٢٧) الطبع : لغم ، والريح تحت الوسخ .

(٢٨) حديث أئمة الشيعة المحقة فيها : فتردى من حديث أن طر يركب في أوله وآخره وقال حسن :
صحيح وقد تقدم في رياضة النفس .

أحد للتقوى بل شغل الحياكة، والحرق، والحرق، يستغرق جميع العمر من كل
واحد فيما يحتاج إليه، فجميع هذه السجرات حسّ بواجبة بهذا الاعتبار.

والواجب الثاني : هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من
رب العالمين، والمقام المحمود بين الصديقين . واليه من جميع ما ذكرناه واجبه
في الوصول إليه . كما يقال الطهارة واجبة في صلاة الطرّوح، أي لمن يريد بها،
فإنه لا يحصل إليها إلا بها . فأما من وصى بالنفوس والحرمات من فصل صلاة
النسوة، فالطهارة حسّ واجبة عنه لأجله . كما يقال العين، والأذن،
واليد، والرجل، شرط في وجود الإنسان . يعني أن شرط لمن يريد أن يكون
إنساناً كاملاً ينتفع بإنسانيته، ويتوصل بها إلى درجات العلا في الدنيا . فأما من
قبح بأصل الحياكة، ووصى أن يكون كلحم على جسم (٣٠)، وكخرقة مطروحة .
فليس يشترط من هذه الحية عن، ويد، ورجل . فأصل الواجبات الداخلة في
حوى العامة لا يحصل إلا إلى أصل النجاة . فأصل النجاة كأصل الحياكة،
وما وراء أصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي الحية، يجري مجرى الأعضاء
والآلات التي بها تنبأ الحية، وفيه تسمى الأنبياء والأولياء والعلماء والأمثل
فالأمثل، وعليه كان حرصهم، وحواله كان منه فهم، ولأجله كان حرصهم
ملاذ الدنيا بالكلية، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجراً في
سبيله . فعلم أنه الشيطان ومن : أما كنت قد سمعتم مني بآخرة ؟ فقد نعم
وما الذي حدث ؟ فقال توسدك لهذا الحجر تنصرف في الدنيا، فلم لا تضع رأسك
عن الأرض ؟ فرمى عيسى عليه السلام بالحجر، ووضع رأسه على الأرض
وكان ربه سبحانه توبه عن ذلك السبع . فمررت مني عيسى عليه السلام . بعنه
أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجباً في متاوى العامة ؟ .

أفترى أن نبياً محمداً ﷺ لما شغلته الحرب الذي كان عليه علم (٣١) في

(٢٩) الوضوء : خشية الجزر التي يمنع الصلوات . والفرقة : فساد . يمتد من أمر نفسه شيئاً

(٣٠) حديث زرعة ثقة الذي كان عليه في الصلاة : قلته في الصلاة أهد

(٣١) علم الحرب : وسنه ورقته

صلاته حتى نزع^(٣٢)، وشعبه شريك^(٣٣) نعله الذي جلده حتى أعاد الشرائع الخلق، لم يعلم أن ذلك ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكفة عباده؟ ثم علم ذلك فلم تاب عنه بتركه؟ وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثراً في قلبه أثراً يحميه عن بلوغ مقام محمود الذي قد وعد به؟

أخرى أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب الخمر، وعلم أنه على غير وجهه، أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه، حتى كاد يخرج معه روحه، ما علم من الله هذا القدر، وهو أن ما أكله عن جهل فهو عمر آثم به، ولا يجب في حوى العفة إخراجها فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب إمكانه بتجلية المعصية عنه؟ وهل كان ذلك إلا لئلا يسرق في صدره، عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر، وأن غطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون؟

فأما أحوال هؤلاء الذين هم أعرف بحسب الله بالله، وبطريق الله، وبمكر الله، وبممكن الغرور بالله. وإياك مرة واحدة أن تعرك الحياة لديا، وإياك ثم إياك ألف مرة أن يترك بالله الغرور^(٣٤). فهذه أسرار من استنشق مادي ورائحتها علم أن لروم التوبة الصوح ملارم للعبد السالك في طريق الله تعالى. في كل نفس من أنفاسه، ولو عمر عثر عثر نوح، وأن ذلك واجب على المور من غير مهلة. ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال: لو لم يترك العبد ما بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الساعة، كان خليفاً أن يحزنه ذلك إلى الممات. فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بثل ما مضى من جهله! وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة: وضاعت منه بغير فائدة، يكي عليها لا بحالة. وإن ضاعت منه وصار ضايعها سبب هلاكه، كان بكاؤه منها أشد. وكل ساعة من العمر، بل كل نفس جوهرة نفيسة، لا تحلف لها، ولا يبدل منها، فإنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد، وتفقدك من شقاوة الأبد. وأي جواهر أنفس من هذا؟ فإذا صيغتها في العفلة، فقد

(٣٢) حديث نزع الشريك الجديد وإعادة الشريك الخلق: تقدم في الصلاة أيضاً

(٣٣) شريك العمل: سوا العمل عن ظهر القدم.

(٣٤) الغرور: بفتح الغين - الشيطان

حسرت حمران نميناً وإن صرفتها إلى معصية، قد ملكت هلاكاً وحشاً. ومن كنت لا تنكي على هذه نصيحة فذلك لجهلك. ومصيبك يجهلك. اعصم من كل معصية، لكن الخيل منسية لا يعرف المصاب بها أنه صاحب معصية. ومن يوم ألغى يحول بينه وبين معرفة، والناس نيام، فإذا ماتوا انشعروا. فعد ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه. وبكل مصاب معصيته. وقد رفع سانس عن سانسك

قد بعض العارفين: إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد، أعلم أنه قد بقي من عمره ساعة، وإني لا تستأخر عن طرفة عين. فيلو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت الدنيا بخلافها^(٣٥) خرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى، ليستحب فيها ويسرك تقريطه، فلا يجد إليه سبيلاً. وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى ﴿وَجِيلَ يَتَنَبَّهْ وَيُنْهَى يَنْتَهُونَ﴾^(٣٦) وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿مَنْ قُلْ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصُدَّ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾^(٣٧) فقل الأجل قريب سي يصسه معاه أنه يقول عند كشف العطاء للعبد: يا ملك الموت، أخرج يوماً اعتسر فيه إلى ربّي وأتوب، وتردد صاحباً لمضى فقول: من الأيام فلا يوم. يقول فأخري ساعة. فيقول: خيت الساعات فلا ساعة فيخلق عليه باب التوبة، فيترعرع بروحه، ويحردد أنفاسه في شر أسفه، ويخرج عصاة اليأس عن التدارك، وخسرة الندامة على تصحيح العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال. فإذا زهقت نفسه، فإن كان سبق له من الله الحسنى، خرجت روحه على التوحيد، فذلك حسن الخاتمة. وإن سبق له القضاء بالسوء والعياد بالله، خرجت روحه على الشك والاضطراب، وذئب سوء الخاتمة. ولعل هذا يقال: ولست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن^(٣٨). وقوله ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾^(٣٩) ومعاه عن قرب عهد

(٣٥) حسان شمس أعاليه وروحه - الوحيد حمران، ذكره محسن

(٣٦) ساء: ٥٤ (٣٧) الماتون: ١٠، ١١ (٣٨) الساء: ١٨ (٣٩) الساء: ١٧

محصنة من بعده عليه ، ويحوي نوره حصة يرددها به من أن يتركه لغيره عن
القلب فلا يقبل الله

وإذا كنت من تائبين ، أتبع السيئة الحسنة تمحها ، وبنيت قل قدما لانه
يا بني لا تفرح التوبة ، فإن الموت يأتي بعته ، ومن ترك استوره إلى التوبة
ماتشويف كان بين حصري عصمي أحدهم أن تركه نصحه على قلبه من
محصي ، حتى يصير ريبا^١ وصفا ، فلا يقبل محو ، التي أن يدخله
فرض أو حوت ، فلا يجد فيه ملامحة ، يا محو ، وحدث ورد في الخبر^٢ : « إن
أكثر صياح أهل النار من الشويف ، فها هلك من هلك ! » إلا بالشويف
بكون تسويده عيب نقذ ، وحلاؤه بالصدقة بسيله ، إلى أن يصفه الموت
فيأتي الله بقلب غير سليم ، ولا يجر إلا من أن الله بقلب سليم ، وعبادة
الله على عهد عبده ، والعمر أمانة لله عنده ، وكذا سائر أسباب صدقه ، فمن
خاف في الأمانة ولم يتدارك خيائته ، فأمره محط ، فإن بعض ما قاله الله
تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإتمام ، أحدهما : إذ خرج من بعض
أمة يقول له : عبي ، قد أخرجك إلى الدي طاهر نصيف ، واسودعت
عمرك واشتكت عه ، وصر كيف تحفظ الأمانة ، وانظر إلى كيف تلقى
وثنائي عه ، حروح روحه بقول : عبي ، ماذا صنعت في أماني عدي ؟ هل
حفظتها حتى تلقى عن العهد ، فحدث عن بقاء ؟ أو أصعبا فحدث بمصائبه
ولعقب ؟ وإلى الإشارة بقوله تعالى ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾^٣
وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾^٤



(٤٠) الزم : الصبح والندى . يقال وإن دية عن قلبه أي قلب . قال أبو حنيفة : في قوله تعالى .
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي غلب . وقال الحسن رضي الله عنه : هو الدب عن
القلب حتى ينفذ القلب . وقال أبو حنيفة : كل ما خلقت فقد ران بك . ورواه عنك .
(٤١) حديث إن أكثر صياح أهل النار من الشويف لم أجده أصلا .

(٤٢) المطبوع ٨

٢٠٠ العدد ٤٠



النقل الخامس

بيان أن التوبة إذا استجبت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذ فهمت معنى غيوب ، ونشأت في كل توبة صحبته فهي
مقبولة ، فاصبرون بور تائبين مستمولين . رغبنا ، عبيد الله كل
فب سبب مقبول عند الله ، ومصدق في الآخرة . حو الله تعالى . ومستعد
لأن يصير بعينه أمانة إلى واحد الله تعالى وعنده . غيب حتى سبب في
الأصل ، وكل موبود يوم عن مخرقة ، ويوم سبب سلامه بكارة بره
وحبه من غيره الموبود وظلته . وختموا أن سبب تحرق تلك العزة ، وأن
بور محبة يحوي عن وجه القلب ظمئة مستعدة لا طاقه لظلام المعاصي مع
بور محبت كما لا طاقه لظلام الليل مع جور . إلى كما لا طاقه بكارة
نوسج مع بياض موبود . وكما أن التوب الروح لا يسبب من أن يكون
لباسه . وقلب نصيف لا يقبل الله تعالى أن يكون . وكن أن سبب
التوب في الأعمال الخيبة يومئذ التوب . وغسل الصابون والماء الحار يطعمه
لا محالة . فاستعمال القلب في الشهوات يومئذ القلب ، وعنده بماء الدموع
وحرقه دم يصفه ، ويصفه . ويركيه . وكل سبب ركي صهر فهو مقبول ،
كما أن كل توب نصيف فهو مقبول . مرة عبيد به كنه نصيف . مقبول
مقبول قد سببه النصاء لأمر الذي لا مرد له ، وهو يسمى فلاح في قومه
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾^١

٢٠٠ العدد ٤٠

ومن لم يعرف عن سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجل من المشاهدة بالبصر ،
 من سبب يكثر بالتداعي والطاعات فائراً متصداً ، يستمر لأحدهما لفظ
 حسه ، كما يستعار للجهل ، ويستعار للأحر لفظ البر ، كما يستعار للعلم ،
 وأن من سبب والظلمة تصاداً ضرورياً ، لا يتصور الجمع بهما ، فكأنه لم يبق
 من الدين إلا مشروبه ، ولم يبق له إلا شربه ، وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة
 الدين من عن حقيقته نفسه ، وصداق نفسه ، ومن جهل نفسه فهو بغيره
 جهل ، وأغنى به نفسه ، به نفسه يعرف نفسه ، فكيف يعرف غيره وهو
 لا يعرف نفسه

فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل ، كمن يتوهم أن الشمس تطلع
 والصلوات لا يروى ، والثوب يعمل بالصبايون والوسخ لا يزول ، إلا أن يوصى
 الوسخ بصلوات تراكمه في تدوير الثوب وحمله ، فلا يقرى الصبايون على قمعه ،
 فقال ذلك أن تراكم الدوب حتى تصير طبعاً وربما على القلب ، فقل هذا
 القلب لا يرجع ولا يهرب ، نعم : قد يقول باللسان : تبت ، فيكون ذلك
 كقول القصار^(٤٨) بلسانه قد غسلت الثوب ، وذلك لا يظلم الثوب أصلاً ،
 ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يصاد الوصف المتمسك به ، فهذا حال
 امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد ، بل هو العائب على كافة الخلق المقبلين على
 الدنيا ، اندر من عن الله بالكلية ، فهذا البيان كاف عند ذوى البصائر في قبول
 التوبة ، ولكننا معضد جراحه بنقل الآيات ، والأخبار ، والآثار فكل استبصار
 لا يسهل له الكتاب والسنة لا يوثق به ، وقد قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ
 التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾^(٤٩) وقال تعالى ﴿ غَافِرِ الذُّلْبِ وَقَابِلِ
 التَّوْبِ ﴾^(٥٠) إلى غير ذلك من الآيات .

(٤٨) القصار : الذي يلقى الثياب ويغسلها ويحمرها
 (٤٩) يسرى ٢٥
 (٥٠) عمر ٣

وقال عليه السلام : الله أقرب توبة أحدكم إلى الخلق ، والفرح وراء الله .
 يدل على قبول وريدة . وقال عليه السلام^(٥١) : إن الله عز وجل يسقط يده بالتوبة
 للمسيء التبت إلى النهار وللمسيء النهار إلى الليل حتى يطعن الشمس من
 مغربها ، وبسط اليد كتابة عن طلب التوبة .
 ليس بطلب ، ولا طالب إلا وهو قاتل . وقد حكي^(٥٢) : أن عثمان بن عفان
 حتى تبلغ السماء ثم كدتم ثياب الله عنكم . وقال أيضاً : إن الله
 ليذهب الذنب فيدخل به الجنة ، فمن كذب - يا رسول الله - قال : يكون
 نصب عنه ثياباً من قاراً حتى يدخل الجنة .
 السابعة ، وقال عليه السلام : الثابت من الذنب كذا لا ذنب له .

ويروى^(٥٣) : أن حبشياً قال يا رسول الله ، كنت أعمل بالمواشع ، فهل
 لي من توبة ؟ قال نعم . فولى ثم رجع ففقد . رسول الله ، أكان يراني وأنا
 أعمها ؟ قال نعم . فصاح الحبشي صيحة خربت فيها روحه . ويروى^(٥٤) : أن

(٤٨) حديث الله بسط يده بقرينة لمسيء الليل إلى النهار - الحديث : سلم من حديث أبي موسى بن خلف
 بسط يده بالليل ليعوب مسيء النهار - الحديث : وفي رواية ليعوب مسيء الليل أن يوب بالليل -
 الحديث .
 (٤٩) حديث لو علم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم كدتم ثياب الله عنكم ليس ما جاء من حديث أبي هريرة
 وإسناده حسن بلفظ لو أنتمم وقال ثم تبت
 (٥٠) حديث أن العبد ليدب الذنب فيدخل به الجنة - الحديث : ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن
 فضالة عن الحسن مرسلاً ولأن لمع في الخلقة من حديث أبي هريرة أن العبد ليدب الذنب فإذا ذكره
 أخرجه فإذا نظر الله إليه أنه أخرجه عنه له - الحديث : وفيه صريح القوي وهو رجل صالح لكنه مضى في
 الحديث ولأن أبي الدنيا في التوبة من حديث أبي هريرة أن الله يرفع العبد بالذنب بذنبه والحديث غير
 محصو قال المصنف .
 (٥١) حديث كثرة الذنوب السابعة : أحمد والقرطبي وهو في الثوب من حديث أبي حنيفة وفيه يحيى بن
 عمر أبي مالك الشكري ضعيف .
 (٥٢) حديث إن حبشياً قال يا رسول الله إن كنت أعمل المواشع فهل لي من توبة قال نعم - الحديث :
 ثم أحد به أصلاً
 (٥٣) حديث إن الله لا يمس أبليس سأل النظر فأنظره إلى برد العمامة قال وعزتك لا خرجت من قلب
 أبي آدم ما دام فيه الروح - الحديث : أحمد وأبو يعلى والحاكم . صحيحه من حديث أبي سعيد عن الشيطان
 قال وعزتك يا رب لا أزال أكره عبادك ما كنت أكرههم . أجابهم فقال وعزتك لا أزال
 أكرههم ما استغفروني أودعه المصنف بصيغة ويروى كذا . . . إلى أبي حنيفة فذكرته إيجاباً

عن عمر بن الخطاب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **فَأُخْرِجَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** فقال: وعرفت لا حرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعرفى وحلوا لا حرجت عنه التوبة ما دام الروح فيه. وقال صلى الله عليه وسلم: **إِنْ** الْحَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ كَمَا يُذْهِبُ الْمَاءُ الرِّسْخَ وَالْأَحْيَارُ فِي هَذَا لَا تَعْلَى

وَمِنْ ذَلِكَ: فَقَدْ رَوَى سَعِيدٌ بْنُ الْمُسَبِّحِ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى **﴿فَأَنْتَ كَانُ لِلْأَوَّلِينَ غَفُورًا﴾** ^(٢٦) الرَّجُلُ يَذُوبُ ثُمَّ يَتَوْبُ، ثُمَّ يَذُوبُ ثُمَّ يَتَوْبُ، وَقَدْ ائْتِيَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بِشَرِّ الْمَذْيَبِينَ يَأْتِيهِمْ إِنْ تَابُوا قَبِلْتُ مِنْهُمْ، وَخَسِرَ الْمُصِيبِينَ إِنْ بَنَوْا وَصَعَتْ عَلَيْهِمْ عَلَى عَدَّتِهِمْ وَقَدْ صَحَّ بِنَ حَبِيبٍ أَنَّ حَقَّقَ اللَّهُ أَغْصَمَ مَنْ أَنْ يَتَوْبَ بِهِ الْعَبْدُ، وَلَكِنْ أَصْحَوُ نَائِلٍ وَمُتَوْبًا نَائِلٍ

وَقَدْ عَمِدَ اللَّهُ بِنَ عَمْرِو بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذَكَرَ حَقَّقَهُ كَتَبَ، فَوَحَى مَهَا فِيهِ، مَحْتِ عَهْدِي أُمِّ نَكَبَ

وَيُرْوَى أَنَّ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَذَبَ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، وَعَرَفَى لَيْسَ عَدَاتُ الْأَعْدَاءِ فَقَالَ يَرْبِّ، أَيْ أَنْتَ، وَأَنَا أَنَا، وَعَرَفْتُكَ إِنْ لَمْ تَعَصِي لِأَعْدَادٍ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ بَعْضُهُمْ إِنْ الْعَدْلُ لِيَذَبَ الذَّبَّ فَلَا يَرَى نَادِمًا حَتَّى يَذْهَبَ الْحَقُّ يَقُولُ: يَنْبَغِي أَنْ يَمُوتَ فِي الْمَدَنَةِ

وَقَدْ حَبِيبٌ بِنَ ثَابِتٍ، تَعَرَّضَ عَلَى رَجُلٍ دُوبِهِ يَوْمَ نَفْيِهِ، فَيَسَّرَ بِالذَّبِّ يَقُولُ: أَمَا إِلَى قَدْ كُنْتَ مُشْتَقًّا مِنْهُ، قَالَ: فَيَعْفُو لَهُ

وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ مَسْعُودٍ عَنْ ذَنْبٍ أَلَمَ بِهِ، هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ، فَرَأَى عَيْنَيْهِ تَذَرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ: إِنْ

(٢٦) التَّيْبَةُ: الْإِمْنَانُ، وَالْأَجَلُ: قَالُوا رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ **﴿﴾** قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ **﴿﴾** [البقرة: ٢٧]
(٢٧) حَقَّقْتُ إِنْ أَلْحَمَاتُ يَذْهَبُ السَّيِّئَاتِ كَمَا يُذْهِبُ الْمَاءُ الرِّسْخَ: مِثْلُ أَجَدِهِ يَذْهَبُ الْفُظْ وَهُوَ صَحِيحٌ ائْتِيَ وَهُوَ بِمَعْنَى أَمْسَحَ السَّيِّئَاتِ كَمَا يُزِيلُ رَوْحَ التَّرْمَدِ وَتَقْدِمُ قَرِيبًا
(٢٨) الْأَسْرَامُ: ٢٥

لِحُجَّةِ تَحْمِيَةِ أَبْوَابِ، كَتَبَ تَفْتَحَ وَتَعْلَى إِلَّا بِأَنْبِ تَوْبَةٍ، فَإِنْ عَمِدَ مَلِكًا مُوَكَّلًا بِهِ لَا يَتَوَقَّعُ، فاعمل ولا تيأس

وَقَدْ عَمِدَ الرَّحْمَنُ بِنَ أَنَّى الْقَسَمِ ثَلَاثًا مَعَ عَمِدِ الرَّحْمَنِ تَوْبَةً يَكْفُرُ، وَقَدْ عَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى **﴿إِنْ يَتُوبَا يُغْفِرْ لِمَا قَدْ سَفَا﴾** ^(٢٧) عَمِدَ بِنَ لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَعَهُ عَمِدَ اللَّهِ أَحْسَنَ حَالًا، وَتَقْدِيرُهُ أَنْ تَوْبَةً مَعَهُ كِبَالًا مَعَهُ إِسْلَامًا، وَقَدْ عَمِدَ اللَّهُ بِنَ سَلَامًا: لَا تُعَذِّبُكُمْ لِأَنْ بَنِي مَرَسًا، أَوْ كَتَبَ مَرَسًا إِنْ الْعَدْلُ عَمِدَ دَائِمًا مَعَهُ عَلَيْهِ مَعَهُ عَيْنٌ، سَفَقَ عَنْهُ سُرْعًا مِنْ صُرْفِهِ عَمِدَ، وَقَدْ عَمِدَ رَضِيٍّ اللَّهُ عَلَيْهِ أَحْسَنَ بِنَ لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَعَهُ كِبَالًا مَعَهُ وَقَدْ بَعْضُهُمْ أَنْ عَمِدَ مَعَهُ يَمُوتُ تَعَالَى قَدْ مَيَّسَ هَلْ إِنْ نَابَ عَنْ وَفَرٍ خَرَّ مِنْ أَنْ أُخْرِجَ تَوْبَةً خَوْفَ مَنْ أَنْ مَعْمُورَةً أَيْ مَعْمُورَةً مِنْ وَفَرٍ تَوْبَةً وَتَوْبَةً لَا مَحْجَةَ

وَيُرْوَى أَنَّ كَاتِبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ شَرَّفَ عَمِدَ مَعَهُ عَشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَمِدَ عَشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ تَوْبَةً فِي حَرْفٍ هَرَفَتْ أَشْيَاءَ بَعِيَّةً، فَسَاءَ دَمَتْ، فَقَدْ بَنِي أَصْعَدَ عَشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَمِدَتْ مَعَهُ مَعَهُ رَجَعَتْ بِمَنْ تَنَفَّسَ؟ فَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ وَلَا يَرَى شَيْئًا أَحْسَنَ فَحَبِيبًا، وَنَرَكُنَا وَرَكُنَا، وَعَصَبَ وَنَهَيْتُكَ وَرَجَعْتَ: فَسَكَ

وَقَدْ دَوَّ لَوْ حَضَرَ رَحِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: اللَّهُ عَالِمُ نَصِيحَةِ شُجَارِ الْخَصَائِرِ نَصَبَ رُومِ الْقُنُوبِ، وَتَوْبَةً بِمَعْنَى التَّوْبَةِ: فَأَعْرَضَتْ تَدَامًا وَحَرَفًا مَحْبُورًا مِنْ غَيْرِ جَنُونَ، وَتَلَبَّسُوا مِنْ غَيْرِ عَقِي وَلَا يَكْفُرُ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الْبَغَاءُ الْفَضَائِلُ الْعَرَفُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ شَرِبُوا بِكَاسِ الْخَمْرِ فَوَرَّثُوا لَهْلَ عَلَى طَوْلِ الْبَلَاءِ، ثُمَّ تَوَفَّتْ قُبُورُهُمْ فِي سَكُوتٍ وَحَدَّثَ أَفْكَدَ هَمٌّ بِنَ سَرِيٍّ حَبِيبَ الْحَيَوَاتِ، وَنَصَبُوا نَحْتَ رَوَاقٍ مَعَهُ: وَقَدِيرٌ مَحْبُودٌ حَصِيًّا، فَهُوَ ثَوَّ أَمْسَهُمُ الْخُرْعَ، حَتَّى وَصَلُوا إِلَى عَمَارَةِ جَسَدِهِمْ جَزَعًا وَنُفْسُهُمْ بَرَّةً بَرَّةً بَرَّةً، وَتَلَابَوْا حَشُونَهُ مَضْجَعًا، حَتَّى تَقْعُدُوا لِحَسْنِ مَحَلِّهِ وَعَزَّةً أَسْلَامَةً

(٢٧) لَا تَعْلَى: ٢٨

وسرحب رواحهم في العلا ، حتى أُنحوا في رياض سعيم ، وحاصوا في بحر الحياة ، وردموا حنادق الحرج وعبروا حور حوى ، حتى ملأوا بماء النعم ، واستفروا من غدير الحكمة ، وركبوا سفينة العطش ، وأنعصوا بريح السحابة في بحر السلامة ، حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة . فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة .

فإن قلت : أمقول ماغالبه المعترلة ، من أن قبول لتوبة واجب على الله ؟ فأقول : لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول لتوبة عن الله ، إلا ما يريد به ندس نقبه إن الثوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ . وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش وإنه إذا مع الماء مدة وجب العطش . وإنه إذا دام العطش وجب الموت . وليس في شيء من ذلك ما يريد به المعترلة بالإحاطة على الله تعالى من أن قبول حسن منه بعد الصفة مكره لمصلحة ، وحجة ماحية سبقة ، كما خلق الماء مهيئاً للعطش ، والقسرة منسعة خلافة . وسبقت به لمصلحة . فلا واجب على الله تعالى ، ولكن ما سبق به يردته الأرضية فواجب كونه لا محالة . فإن قلت : فما من تائب إلا وهو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه ، فلم يشك فيه .

فأقول : شك في قبول كشكه في وجود شرائط الصحة . فإن للتوبة أركاناً وشروطاً دقيقة كما سيأتي ، وليس يتحقق وجود جميع شروطها ، كالذي يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل سهل ، وذلك لشكه في حصول شروط الإسهال في الدواء ، باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبيعته ، وجودة عقاقيره وأدوية . فهذا وأمثاله موجب للحوف بعد التوبة ، وموجب للشك في قبولها لا محالة ، على ما سبق في شروطها إن شاء الله تعالى .



الركن الثاني

فيما عنه التوبة وهي الذنوب
صغائرهما وكبائرها

- بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد .
- بيان ما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بخ الله تعالى .
- بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا .
- بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب .



المصل الأول
بيان أقسام الذنوب
بالإضافة إلى صفات العبد

تمهيد وتهيئة

اعلم أن التوبة ترك الذنب . ولا يكن ترك الشيء إلا بعد
معرفة .

وإذا كانت التوبة واجبة ، كان ما لا يوصل إليها إلا به واجباً .
فمعرفة الذنوب إذاً واجبة .

والذنوب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى ، في تركه أو
فعل .

وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكاليفات من أولها إلى آخرها ،
وليس ذلك من غرضنا .

ولكننا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها .

والله الموفق للصواب برحمته

اعلم أن للإسناد أوصافاً وأخلاقاً كثيرة . على ما عرف شرحه في كتاب
عجائب القلب وعوائيه ولكن تنحصر مشيت الذنوب في أربع صفات :



النعم (١) : وقال ﷺ : « الصَّلَاةُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ يُكْفَرُونَ مَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا احْتِسَابَ الْكَبَائِرِ » وفي لفظ آخر : « كَفَّارَاتُ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا الْكَبَائِرُ » وقد قال ﷺ فيما رُوِيَ : « عبد الله بن عمرو بن العاص : الْكَبَائِرُ الْأَشْرَاطُ بِاللَّهِ وَغُفُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغُمُوسُ » .

تحديد الكبائر من الصفات

واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر ، من أربع إلى سبع ، إلى تسع ، إلى إحدى عشرة مما هو في حديث . فقل ابن مسعود ، من أربع . وقال ابن عمر : من سبع . وقال عبد الله بن عمرو . من تسع . وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر : الكبائر سبع يقول : من إلى سبعين أقرب مما إلى سبع . وقال مرة . كل ما سئى الله عنه فهو كبيرة ودل غيره : كل ما أوعده الله عليه بانحراف من الكبائر . وقال بعض السلف . كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة . وقيل إنها مبيعة لا يعرف عددها ، كبيعة القدر ، وساعة يوم الجمعة . وقال ابن مسعود لما مثل بها . اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله ﴿ إِنَّ تَحْتِهَا كِبَائِرٌ مَّا تَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ (٢) فكل ما سئى الله عنه في هذه السورة إلى ما فهو كبيرة . وقال أبو طالب المكي . الكبائر سبع عشرة ، جمعها من جملة الأخيار (٣) . وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس ، وابن مسعود ، وابن عمر وغيرهم ، أربعة في القسب ، وهي الشراك

(٦٠) التحد ٣ والنسب صغار يدي

(٦١) حديث الصلوات الخمس ، جمعه بن جرير ، ما يبين أن حشد الكبائر مسموع من حديث أبي هريرة .

(٦٢) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : لا أشرك بالله وعقوبته ، قاله ابن عباس ، وهو النص واليمين الغموس ورد في

تيسري

(٦٣) الأخيار الواردة في الكبائر حكى المصنف عن أبي طالب المكي أنه قال الكبائر سبع مشرة جمعها من جملة الأخيار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشراك بالله ، والإصرار .

بالله ، والإصرار على معصيته ، والقنوط من رحمة ، والأمن من مكروه . وأربع في اللسان ، وهي شهادة الزور ، وقذف الصن واليمين الغموس ، وهي التي يحق بها باطلاً أو يظن بها حقاً ، وقيل هي التي يقطع بها مال امرئ مسلم باطلاً ولو سواها من ثرائك وصحيت غموس لأنها نفس صاحبها في الدار ، والسحر ، وهو كل كلام يغير الإنسان ، سائر الأجسام عن موضوعات الخفة .

عمل معصية ، والقنوط من رحمة ، والأمن من مكروه ، وقذف الصن واليمين الغموس والسحر ، وشرب الخمر ، وللسكر ، وأكل مال النجم ضيقاً وأكل الربا ، ولزنا واللواط ، والقذف ، والسرقة ، والفرار من الزحف ، وعقوق الوالدين ، التي وسذكر ما ورد منها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها في حديث عبد الله بن عمرو ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتمع السبع المرفقات قالوا يا رسول الله ، وما هي قال الشراك بالله والسحر وقذف النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل من النجم ، واليمين يوم الرجب ، وقذف الخصيات المزوس ، ولها من حديث أبي بكره ألا أتيتكم بأكثر الكبائر الإثمك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، أو قال قول الزور لها من حديث أنس سهل عن الكبائر قال الشراك بالله ، وقذف النفس ، وعقوق الوالدين ، وقال ألا أتيتكم بأكثر الكبائر : قال قول الزور ، أو قال شهادة الزور ، ولها من حديث ابن مسعود سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال أن تجس قدياً وهو عتقك ، قلت ثم أي ؟ قال أن تقتل ولدك خائفاً أن يطعم منك عتق ؟ أي ؟ قال أن ترائي حيلة جارك ولطيفان من حديث مسلم بن قيس إنما هي أربع لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتنوا نفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تروا ، ولا تسرقوا . وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت يابسون عن أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تروا ولا تسرقوا وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس الخمر ثم الفواحش ، وأكبر الكبائر وفيه مرفوعة حل مد الله بن عمرو أعظم الكبائر شرب الخمر وكلامها ضيف ولينزل من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكبائر قال : الشراك بالله ، والإيمان من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، وبه من حديث بريدة أكبر الكبائر الإثمك بالله ، وعقوق الوالدين ومنع فصل الماء ، ومنع الفصل ، وفيه صالح بن حبان ضيفه ابن عباس ، فسبى وغيرهما وله من حديث أبي هريرة الكبائر ألوه الشراك بالله ، وفيه والانتقال إلى الأعرف بعد صبره وفيه خالد بن يوسف السمين ضيف والطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حشمة في الكبائر والتمرب بعد الصبرة وفيه ابن دله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه والرجوع إلى الأحرارية بعد الصبرة وفيه أبو بلال الأشعري ضيفه الطبراني ولينما من حديث حبيب ابن عمرو هي أية الكبائر سبع فذكر منها واستعمل البيت الحرام والطبراني من حديث والة إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل حتى ما لم أكل وله أيضاً من حديثه إن من أكبر الكبائر أن يقتل رجلاً من ولده ولمسلم من حديث جابر بن الرجل وبين الشراك أو الشكر ترك الصلاة ولمسلم من حديث جابر بن الرجل وبين الشراك أو الشكر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والده ولأن داود من حديث سعيد بن زيد من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وفي الصحيحين من

ثلاثة وثلاث في البطن، وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب، وأكل مال
ابنتي ظلمات، وأكل الربا وهو يعمم ويشتمل في المرح، وهو نرد وسواه.
وأشتم في اليدين، وهما القتل والسرقة، وواحدة في البرحين، وهو مرور
من ارحب، لواحد من اثنين، والعشرة من احشرين، وواحدة في جميع
الجسد، وهي عمق الوالدين، قال وجهه عقوبتهما أن يقسم عليه في حق فلا
يرقسهما. وإن سألاه حاجة فلا يعطيها، وإن يسبه فيضربها، ويجوعها
فلا يضعها.

هذا ما قاله وهو قريب، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء، إذ يمكن الريادة
عنه وانتصاف منه، فبه جعل أكل الربا ومال ابنتي من الكبائر، وهي جناية
على الأموال ولم يذكر في كبائر النصوص إلا القتل. فأما فقه العين، وقطع
ليمن، وغير ذلك من تعذيب السممين بصرب وتوابع لعذب، فبه
يتمرض له. وصرب اليتيم وتعذيبه، وقطع أطرافه لا شئت في أنه أكثر من أكل

حدث ابن عباس أنه سمع من رجل قريش فقال لهما يمدان وما يطيلان في كبير وإنه لكبر لما أحدهما
فكان يمني بالجمعة وأما الآخر فكان لا يستمر من يوله الحديث: ولأحد في هذه القصة من حديث
أبي بكر لما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث: ولأبي داود والترمذي من حديث أبي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أكل من أموال الناس لم يمسك الله به يومئذ
ولم يدره في النار والترمذي وروى ابن عباس في التوبة من حديث ابن عباس لا صورة مع أصغر
وقه أبو شبة الخراساني والحديث منكر يعرف به (وأما الموقوفات) فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن
ابن مسعود قال: الكبائر الأشراك بالله والأمن من مكر الله والفتن من راحة الله وفأمر من روح الله
وروى البيهقي في ابن عباس قال: الكبائر الأسراك بالله والأمن من مكر الله والأمن من مكر الله
وعقوى لوقدس وقل الناس حتى جرم الله ولقد اختلفت وأكل مال اليتيم والنفل من الفرج وأكل
الربا والسحر والربا واليمين المعموس الفاجرة والعنول وضع الرزقة وشهادة الزور وكان الشهادة وشرب
الخمر وترك الصلاة متعمداً وإنهاء ما فرض الله ونقض العهد وقطيعة الرحم وروى ابن عباس في البداية في
قربة عن ابن عباس كل ذنب لمصر عليه عهد كبير وفيه أربع بن صبيح خلفه في وروى أبو منصور
البيهقي في مسند الفروع عن أبيه قوله لا صورة مع الأصغر واستاده جيد قد اجتمع من الموقوفات
والموقوفات ثلاثة وثلاثون أو ثمان وثلاثون إلا أن بعض لا يصح استاده كما تقدم وإنما ذكرت الموقوفات
حتى يتم ما ورد في الموقوف وما ورد في الموقوف واليه في الشعب عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر
سبع فقال هي إلى سبعين أقرب وروى البيهقي أيضاً في ابن عباس قال كل ما سئى الله منه كبيرة والله
أعلم

مائه كب في حرم من الكبائر (١١) السناد بالسنة ومن الكبائر استعطالة
الزوجه في غرض أجه النسب، وهذا من صف اصغر (١٢) أبو
سعيد الخدري وعنه من الصحابة إنكم سمعتم عملاً هي أدق في أعينكم
من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر.

وقالت طائفة كل غيبة كبيرة، وكل ما سئى الله عنه فهو كبيرة: وكشف
الغطاء عن هذا، أن يظن الناس في البرقة هي كبيرة أم لا، لا يصح، ما لم
يهمهم معنى الكبيرة والمراد بها. كقول الفقيه سرقة حرام أم لا، لا مطمع في
تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرم أولاً ثم بحث عن وجوده في السرقة.
فالكبيرة من حيث اللفظ مهم، ليس له يسوع خاص في اللغة ولا في
الشرع. وذلك لأن الكبير والصغير من المعصيات، وما من ذنب إلا وهو كبير
بالإضافة إلى ما دونه، وصغير بالإضافة إلى ما فوقه. فالمصاحفة مع الأجمة
كبيرة بالإضافة إلى انصاف، صغيرة بالإضافة إلى لربنا. وقطع يد المسلم كبيرة
بالإضافة إلى ضربه صغيرة بالإضافة إلى قتله. نعم للإنسان أن يطلق على
ما توقعه بالار عن فعله خاصة اسم الكبيرة. ويصحب بوصفه بالكبيرة أن العقوبة
بالنار عظيمة، وله أن يطلق على ما ألوجب الله عليه مصوراً إلى أن ما جعل
عنه في الدنيا عقوبة واحدة عظيمة، وله أن يحد على ما ورد في نص الكتاب
السمي عنه، فيقول تخصيصه بالكبر في القرآن يدل على عظمة، ثم يكون
عظيماً وكبيرة لا محالة بالإضافة. إذ مناصحات القرآن أيضاً تتفاوت
درجاتها.

(١١) حديث من الكبائر السناد بالسنة ومن الكبائر استعطالة الرجل في غرض أخيه المستم: هذه أبو
منصور البيهقي في مسند الفروع لأحد وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه
في أول الرأ استعطالة في غرض المسلم بقدر ما تقدم

(١٢) حديث أبي سعيد الخدري وعنه من الصحابة إنكم سمعتم عملاً هي أدق في أعينكم من الشعر
ك ما عهد رسول الله ﷺ من الكبائر أحمد والترمذي مسند صحيح وقال من الموقوفات. يدل
الكبائر ورواه البخاري من حديثه في واحد ولذا لا من حديث حبان بن غرض وقال صحيح الاسناد.

فهذه الإطلاقات لا حرج فيها . وما نفا من العطف الصلوة بتدريج هذه
 أخبرت ، ولا يعد تبرئها على هيئ من هذه الاحتمالات . نعم من المحدث أن
 يعلم معنى قول الله تعالى ﴿ إِنْ تَحِبُّوا كَالِإِخْوَانِ فَاتَّبِعُونِ عَثَّةً تُكْفَرُ عَنْكُمْ
 سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ وقول رسول الله ﷺ ، الصَّلَاةُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا
 الْكِبَايَرُ ، فإن هذا إثبات حكم الكبائر .

تحديد الغزالي في الفرق بين الصغيرة والكبيرة

والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظمه
 إياها . وإلى ما يعلم أنها مملوذة في الصغائر ، وإلى ما يشك فيه فلا يلزم
 حكمه : فالطمع في معرفة حد حاصر ، أو عدد جامع مانع ، طلب لما
 لا يمكن . فإن ذلك لا يمكن إلا بالسمع من رسول الله ﷺ ، بأن يقول في
 أردت بالكبائر عشرًا ، أو خمسًا ، ويفصلها ، فإن لم يرد هذا ، بل ورد في بعض
 الأقايف^(٦٨) ثلاث من الكبائر ، وفي بعضها^(٦٩) سبع من الكبائر . ثم ورد أن
 السنين بالية الواحدة من الكبائر ، وهو يخرج عن السبع والثلاث ، علم أنه
 لم يقصد به العدد بما يحصر . فكيف يطمع في عدد ما لم يحدد الشرع ، وربما
 قصد الشرع إقامته ليكون العائد منه على وجل ، كما أنهم ليلة القدر يعظم حد
 الناس في طلبها . نعم لنا سبيل كلي يمكن أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها

(٦٨) النساء . ٢١

(٦٩) حديث ثلاث من الكبائر : الشبهات من حديث أبي بكر أو أنتمكم بأكثر الكبائر ثلاثاً .
 الحديث . وقد تقدم

(٧٠) حديث سبع من الكبائر . ص في الأوسيل من حديث أبي سعيد الكباري سبع وقد تقدم وإلى الكبير
 من حديث عبد الله بن عمر من صل الصلوات الخمس وجبت الكبائر . الحديث . ثم عدس بها
 وتقدم عن الصحيح حديث أبي هريرة بجعلوا البيع الموقفات .

بالتحقيق . وأما أعيانها فعرفها بالظن والتقريب . عرف أيضاً أكبر الكبائر .
 فاما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته .

وبناءه أيضاً أما يعلم بشهود الشرع وأبور بصائر جميعاً ، أن مقصود
 الشرائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى ، ، سعدة لغاته . وأنه لا وصول
 لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ، ، كتبه ورسله ، وإليه الإشارة
 بقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٧١) أي ليكونوا
 عبيد . ولا يكون العبد عبداً ما يعرف . به ربوبية ، ونفسه بالعبودية
 ولا بد أن يعرف نفسه وربه . فهذا هو المقصود لأقصى بيعة الأبي . ولكن
 لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا ، وهو المعنى بقوله حب السلام^(٧٢) ، الدنيا مزرعة
 الآخرة ، فصار حفظ الدنيا أيضاً مقصوداً تامةً للمدين ، لأنه وسيلة إليه .
 ونعم من الدنيا بالآخرة شيئان : النفوس والأمر . فكل ما يسد باب معرفة
 الله تعالى فهو أكبر الكبائر ، وبليه ما يسد باب حياة النفوس ، وبليه ما يسد
 باب معايش التي بها حياة النفوس ، وهذه ثلاث مراتب

فحفظ للمعرفة على الصوب ، والحياة على الأبدان ، والأموال على
 الأشخاص ، ضروري في مقصود الشرائع كلها . هذه ثلاثة أمور لا يتصور
 أن يختلف فيها الملل . فلا يجوز أن الله تعالى يمتن شيئاً يريد بيعة صلاح خير
 في دينهم ودنياهم ، ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفته رسله ، أو يأمرهم
 بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال . فحاصل من هذا أن الكبائر على ثلاث
 مراتب .

(٧١) العنكبوت . ٥٦

(٧٢) حديث الدنيا مزرعة الآخرة . لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً يروي المصنف في الضعفاء وأبو بكر بن
 لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشج نعمت القادر الدنيا لمن تزود منها لآخره الحديث :
 واسناده ضعيف

المرتبة الأولى من الكبائر (الكفر)

الأولى : ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله ، وهو الكفر فلا كبيرة عوف الكفر . إذ أحببنا الله وحسب العبد هو الجهن . والوسيلة المقربة له إليه وهو النظم ومعرفة وفهمه بقدر معرفته ، وبعد بقدر جهله . ويتلو الجهل الذي يسمى كفرة : الأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمته . فإن هذا أيضاً عين الجهل . فمن عرف الله لم يتصور أن يكون آمناً ، ولا أن يكون آسفاً . ويتنبؤ هذه الرتبة الدرع كلها ، المنفعة بدات الله ، وصماته ، وأفعاله . وبعضها أشد من بعض ، وتوابعها على حسب تدبير الخليل به ، وعلى حسب تعلقها بدات الله سبحانه ، وأفعاله ، وشرايعه ، وأوامره ، ونواهيهِ ومراتب ذلك لا تحصر . وهي تقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يعلم أنه لا يدخل ، وإلى ما يشك فيه ، وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع .

المرتبة الثانية من الكبائر (القتل) ما يتعلق بالنفوس

المرتبة الثانية : النفوس . إذ يبقائها وحفظها تدوم الحياة ، وحصل المعرفة بالله . فقتل النفس لا محالة من الكبائر ، وإن كان دون الكفر . لأن ذلك يصدم عين للتصود ، وهذا يصدم وسيلة للتصود . إذ حياة الدنيا لا تتراد إلا للآخرة ، والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى .

قطع الأطراف

وتلوه هذه الكبيرة قطع الأضراس وكل ما يوصل إلى هلاك ، حتى انصرب . وبعضها أكبر من بعض .

الزنا واللواط

ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط ، لأن ما اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكر في قضاء الشهوات تقطع السل ، ومع الموجود قريب من قطع اللواط . وأما الزنا فإنه لا يموت فصل الوجود ، ولكن يشوش الأسباب . ويضرب السرور والناصر وجهته من الأمور التي لا ينظم العيش إلا بها . بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا ، ولا ينظم أمر الهائم ما لم يتميز المحل منها بإثبات يختص بها عن سائر المحول ولذلك لا يصح أن يكون الزنا مباحاً في أصل شرع قصد به الإصلاح . وينبغي أن يكون الزنا في الرتبة دون القتل ، لأنه ليس يموت دوام الوجود ، ولا يمنع أصله . ولكنه يموت تميز الأسباب ويحترق من الأسباب ما يكاد يوصل إلى تقاض . ويسمى أن يكون أشد من اللواط ، لأن الشهوة داعية إليه من الجنائين ، فينت وقوعه ، ويعظم أثر الضرر بكثرة .

المرتبة الثالثة من الكبائر (ما يتعلق بالأموال)

المرتبة الثالثة : الأموال : فإنها معاش الخلق ، فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاعوا ، حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرها . بل ينبغي أن تحفظ لنفسه ببقائها النفوس . إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها ، وإن أكلت أمكن تعريضها . فليس يعظم الأمر فيها نعم : إذا جرى تناول بطريق مصر التدارك له ، فبعضي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربع طرق :

السبقة :

أحدها : الخفية ، وهي السرقة . فإنه إذا لم يطع عليه غالباً كيف يتدارك ؟

أكل مال اليتيم :

لأنه - أكل مال اليتيم . وهذا يُعد من حبة وعصى في حق بول والقيم ، فإنه مؤتمن فيه ، وليس له خصم سوى اليتيم ، وهو صغير لا يعرفه . فتعصم الأمر به واجب ، بخلاف العصب فإنه ظاهر يعرف ، وبخلاف الخيانة في الوديعة ، فإن المودع خصم فيه يتصف لنفسه .

شهادة الزور :

الثالث : تمويها بشهادة الزور .

اليمين الغموس :

الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس^(٢٢) . فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك . ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلاً ، وبعضها أشد من بعض ، وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالغموس

وهذه الأربعة جديدة بأن تكون مرادة بالكبائر ، وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر الوعيد عيباً ، وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها

أكل الربا :

وأما أكل الربا . فليس فيه إلا أكل مال الغير بالراضى ، مع الإخلال بشرط وضعه الشرع . ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله . وإذا لم يجعل العصب الذى هو أكل مال الغير بعير رضاء ، وبغير رضا الشرع من الكبائر ، فأكل الربا أكل برضاء المالك ، ولكن دون رضا الشرع . وإن عظم الشرع الربا بالرجوعه فقد عصم أيضاً الصلابة بالعصب وغيره وعظم بحجة . والمضير إلى أن أكل دأى بالخيانة أو العصب من الكبائر فيه نظر . وذلك واقع في مظنة الشك . وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر ، بل ينبغي أن تخص الكبيرة بما

(٢٢) الغموس - الكاذبة التى تقسم صاحبها في الإثم ثم في الشر

لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضرورياً في .

فيبقى مما ذكره أبو طالب المكي ثم القذف ، والشرب ، والسحر ، والبرار من الزحف ، وعقوق الوالدين .

شرب الخمر :

أما الشرب لما يبرئ العقل ، فهو حدير نائباً عن الكبائر . وهذا عيب تشديدات الشرع وطريق الضرر أيضاً لأب من عتقوص . كما أن العصب محظوظة بل لا غير في النفس دون العقل . فمرء من الكبائر ولكن هذا لا يجرى في قطرة من الخمر ، فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من خمر لم يكن ذلك كبيرة . وإنما هو شرب ماء فيه . وقطرة واحدة في عصب الشك . وإيجاب الشرع الحد به على تعظيم . فبعد ذلك من الكبائر بالشرع . وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع ، وإلا فلنوقف فيه مجال .

القذف :

وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض . والأعراض دون الأموال في الرية . وتناولها مراتب . وأعظمها تناول بدم ، بالإضافة إلى فاحشة الزنا ، وقد عظم الشرع أمره . وأظن ظناً غالياً أن الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة ، فهو بهذا الاعتبار لا يحرمه الصلوات الخمس ، وهو الذى نريد به الكبيرة الآن . ولكن من حيث أنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع ، ونفاس بمجرد لا يدل على كبره وعظمته . بل كما يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى إنساناً يزنى ، قله أن يشهد ، ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته . فإن لم تقبل شهادته فحده ليس ضرورياً في مصالح الدنيا ، وإن كان عيباً يخله من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة حدته . فبذلك هذا أيضاً يجوز بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع . فثما من ظن أن له أن يشهد وحده ، أو ظن أنه يساعد على شهادة غيره ، فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر .

السحر :

وأما السحر ، فإن كان فيه كثر فكبره ، لا معصية تحت الضر الذي يتولد منه من هلاك نفس ، أو مرض ، أو غيره .

الفرار من الزحف وعقوق الوالدين :

وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضاً يسمى أن يكون من حيث النفس في محل الوقف . وفيه يقع ذلك من كل شيء سوى الزنا ، وضربه ، وجسمه ثم بعض أموره ، وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإحلالهم من أوطانهم . ليس من الكبائر إذا لم يمتد ذلك في البيع عشرة كبيرة ، وهو كبر ما قيل فيه . وسوق في حد أيضاً ثم بعد ، وكبر حديث يدل على تسميته كبيرة فسحر بالكثرة .

وإن رجع حول الأمر إلى أن معنى تكبره لا تكبره اصلوت الخمس بحكم الشرع وحدث من جسم ما عساه أن لا تكبره قطعاً ، وإن ما يسمى أن تكبره ، وإلى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مضمون لسمى والإثبات ، وبعضه مشكوك فيه ، وهو شك لا يربطه إلا نص كتاب أو ساء . وهذا لا مطمع فيه ، فطلب رفع الشك فيه حال .

من قلت : فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها . فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده .

فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإبهام ، لأن دار التكليف هي دار الدنيا . والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث إنها كبيرة . بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها ، كالسرقة والزنا وغيرهما . وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها . وهذا أمر يتعلق بالآخرة ، والإبهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر ، فلا يتجرعون على الصفائر اعتماداً على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصفائر بموجب قوله تعالى ﴿ إِنْ تَحِبَبْتُمْ كَبَائِرَ مَا تَهْتُونَ عَنْهُ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ ﴾

سَيِّئَاتِكُمْ ۖ وَلَكِنْ اجْتَنِبُوا الْكَبِيرَ ۚ إِنَّمَا يَكْفُرُ كَبِيرُهُ بِدَاجِبِهِ مَعَ الْكَبِيرِ . ولا إرادة كمن يتمكن من امرأة ، ومن عواقبها ، فكيف نفسه عن الوقوع ؟ فيقتصر على نظر أو من دون معرفة نفسه بالكفر عن الوقوع ، أشد تأثراً في تنوير قلبه من إقدامه على الضر في إطلاعه . ثم معنى تكبره فإن كان عباً ، يؤمر بك امتناعه ولا ضرورة للمعصية . أو كان قادراً ولكن اسع لحرف أمر آخر ، فهذا لا يصنع خشية أمراً وكل من لا يشتهي حرم بطبعه ، ولو أبيع له لما شربه ، فاجتنابه لا يكفه عنه الصفائر التي هي من مقدماته ، كسماع الملاهي والأوتار . نعم : من شتهي الحمر وسماع الأوتار ، فيمسك نفسه بأعده عن حمره ويظن أنها أو لسماع ، فمصادفه النفس بالكفر . رد فمحور عن قبه الفضة التي ارتفع به من معصية السماع .

فكل هذه أحكام أخروية ، وجوز أن يبقى حجب في محل الشك ، وتكون من مشبهات ، فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص . . . يرد نص بعد ، ولا حد . جمع ، بل ورد بألفاظ محتمات . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال رسول الله ﷺ : « الصَّلَاةُ إِلَى الصَّلَاةِ كَحَذَرَةٍ وَرَمَضَنُ إِلَى رَمَضَانَ كَفَارَةٌ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ يَشْرَكَ بِاللَّهِ وَلِزَكِ الثَّيِّبَةِ وَنِكَاحِ الصَّفِيقَةِ ۚ قَبْلَ مَا تَرَكَ أَلَسَ ؟ قَبْلَ الْخُرُوجِ عَنِ الْجُمُعَةِ ، وَنِكَاحِ الصَّفِيقَةِ أَنْ يَبَايَعَ رَجُلًا ثُمَّ يَخْرُجَ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ يَقَاتِلُهُ . فَبِهَذَا وَأَمْثَالِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ لَا يَحِبُّ بِالْعَدَدِ كُلَّهُ وَلَا يَدُلُّ عَلَى حَدِّ حَامِضٍ ، فَيَتَنَبَّهُ لَا حَمَلَةَ مِثْلِهِ .

فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا من يجنب الكثر ، والورع عن الصفائر ليس شرطاً في قبول الشهادة ، وهذا من أحكام الدنيا ، فاعلم أنا لا نخص رد الشهادة بالكبائر . فلا خلاف في أن من يسمع الملاهي ، ويلبس الديباج ، ويتختم بخاتم الذهب ، ويشرب في ألوان الذهب والفضة ، لا تقبل شهادته ، ولم

(٧٤١) فاء ٣٦

(٧٥٠) حديث الصلاة في الصلاة كحذرة إلى رمضان كحذرة إلى رمضان كحذرة إلى رمضان . وكذا الحديث . يحاكم من حديث أن هريرة نحوه وقال صحيح الإسناد . ونكت الصفة .



الفصل الثالث

بيان كيفية توزيع الدرجات والمدرجات في الآخرة على الحسنات والنسيئات في الدنيا

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة. والآخرة من عالم العيب والملكوت. وأغنى بالدنيا حالتك قبل الموت، والآخرة حالتك بعد الموت. هذيانك وأغرقتك صفاتك وأحوالك يسمى القرب الداني من الدنيا، والتأخر آخرة. ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة بما الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك، وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم سكوت

ولا يتصور شرح عالم سكوت في عالم الملك ولا يصحب الأمتان. ولدت قد نصي **﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبَها لِلنَّاسِ لَعَلَّها يَتَّقُها﴾** ^{٧٦} وهذا لأن عالم الملك يوم بالإضافة إلى عالم الملكوت. ولدت قد نصي ^{٧٧} **﴿النَّاسُ يَوْمَ قَادُوا نَفْسَهُوا﴾** وما سيكون في ليلة لا يتبين لك في اليوم، إلا لأمتين، صحوة إلى التعبير، فكنت ما سيكون في ليلة الآخرة لا يتبين في يوم الدين إلا في كثرة الأمثال. وعنى بكثرة الأمس ما يعرفه من علم لغير.

ويكتفي من إن كنت قطرة ثلاثه أمتة. ضد جاء ربح في ابن صريح. فقال رأيت كذا في يدي حاتم أحمم به أمواه لرجل وعروج النساء. فقال وبت مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر. قل صدقت. وجاء رجل آخر فقال: رأيت كأنني أصيب الزيت في الزيتون. فقال إن كان تحتك جارية اشربني عفش عن حدها، فيها أملك سبيت في صبرك، لأن الزيتون أصل

(٧٦) الملكوت : ٤٣ -

(٧٧) حديث الناس يوم قادوا نفوسهم : لم أجده مرفوعة وإنما جرى إلى علي بن أبي طالب.

يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من كثر دون شعري رضى الله عنه : رد شرب الخمر في الدنيا حذوته، ولم أرد شبهة. ضد حصة كثرة مرحب أحد. ولم يرد به الشهادة. فدل على أن الشهادة عينا وثبات لا تنور عن الصعائر والكبار. بل كل الذنوب تقدر في العدالة، إلا ما لا يجوز الإنسان به غالبا بضرورة مجاري العادات، كالعبية، والتجسس، وسوء العين، والكذب في بعض الأقوال، وسماع النجاسة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكل الشبهات، وسب الولد والعلام، وضربها بحكم المصعب زانيا على المصلحة، وإكرام السلاطين الظلمة، ومصادقة الفجار، والتكامل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين. وهذه ذنوب لا يتصور أن يعص الشاهد عن قلبها أو كثورها إلا بأن يعزل الناس، ويحجز الأمور الآخرة، ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على صفته مع المصلحة بعد ذلك. ولو لم يبق إلا قول مثله لعم وجوده، وبعبث الأحكام. والنيارات. وليس ليس الحرير، وسماع الملاهي، والسحب بالبرد، وبجاسة أهل الشرب في وقت الشرب، والخبرة بالأجنبيات، وأمثال هذه الصعائر من هذا القليل. قايى مثل هذا المنهج يعني أن يصر في قبول الشهادة ورددها، لا إلى الكثرة والصغرة.

ثم آحاد هذه الصعائر التي لا ترد الشهادة بها لو واطب عليها لأثر في رد الشهادة كمن أخذ حبة وثبت ليس عده وكذلك بحاسة انحرار ومصادقتهم. والصغيرة تكبر بالمواظبة، كما أن المباح يصير صغيرا بالمواظبة كالنعب بالشرطج، والفرم بالنساء على النوم وغيره. فهذا بيان حكم الصعائر والكبار.



الزيت . فهو يورث إلى الأصل . فظهر فإذا جازيته كانت أمه ، وقد سميت في صوره . وقال له آخر : رأيت كأنى أفلد الدر في أعناق الخنازير . فقال إنك يسمي الحكمة غير أهلها ، فكان كما قال .

واسم من أوله إلى آخره أمثال يعرف ضرب الأمثال وإنما يسمى بالمثل . معنى في صورة إن نظر إلى معناه وجد صادقاً . وإن نظر إلى صورته وحده كان كاذباً . فمؤدب إن نظر إلى صورة الخاتم . واختم به على الفروج رآه كاذباً . فإنه لم يعرفه . وإن نظر إلى معناه وجد صادقاً ، إذ صغر منه روح الختم ، ومعناه ، وهو الملع الذي يراد الختم له . وليس للأبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بصرب الأمثال ، لأهم كنسوا أن يكتموا الناس على قدر عقولهم ، وقدر عقولهم أهبل في البرء ، والهم لا يكشف له عن شيء إلا بمثل ، فإذا ماتوا . سبوا وعربوا من صدق . ولذلك قال عليه السلام (٧٨) : **قَلْبُ الْمُؤْمِنِ نِيرٌ أَصْبَحَ مِنْ أَصْبَاحِ الرَّخَمِ** ، وهو من المثل الذي لا يعقله إلا العالمون . فإن أخذوا فلا يحاوز قدره ظاهر المثال ، لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلاً ، كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تصيراً ، فثبت لله تعالى هذا وأصبعاً ، تعالى الله عن قوله عزراً كبيراً

وكذلك في قوله عليه السلام (٧٩) : **إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ** ، فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة ، فثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله عزراً كبيراً .

ومن هنا زل من زل في صفات إلهية ، حتى في الكلام ، وجعلوه صوتاً وحرفاً إلى غير ذلك من الصفات ، والقول فيه يطول .

وكذلك قد يرد في أمر الآخرة صرب أمثلة يكذب بها المحدث ، بمحذور نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنه كقوله عليه السلام (٨٠) : **يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي**

(٧٨) حديث قلب المؤمن بين أصابع الرحمن : تقدم

(٧٩) حديث أن الله خلق آدم على صورته : تقدم

(٨٠) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كيش أملح فيهج . . . نقل عليه من حديث أبي سعيد .

صُورَةً كَيْشٍ أَمْلَحَ قَيْدَنِيح : فيثور المنجد الامن ويكذب ، ويستدل به على كذب الأبياء ويقول : يا سبحان الله - الموت عرض ، وكيش جسم ، فكيف ينقلب العرض جسماً هل هذا إلا محال ! ولكن الله تعالى عز وجل هؤلاء الخلق عن معرفة أسرارهم فقال **﴿ زِمَا يَفْقَلُهَا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ ﴾** (٨١) ولا يدرى المكين أن من قال : رأيت في منامي أنه جاء بكيش ، وقبل هذا هو الوباء الذي في البدن ، ودبح ، ضرب المعبر . صدقت : والأمر كما رأيت ، وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط ، لأن المذبح وقع بين من ، فإذا المعبر صادق في تصديقه ، وهو صادق في رؤيته . وترجع جسمه ذلك إلى أن موكل بالرؤيا ، وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على مدى النوح المضمون ، عرفه بما في النوح المضمون مثال صبره به لأن الدم إنما يحس مثل ذلك مثاله صادقاً ، وكان معناه صحيحاً .

فالرسل أيضاً يكلمون الناس في الدنيا ، وهي بالإصافة إلى الآخرة نوم ، فيوصلون المعاني إلى أمهاتهم بالأمثلة ، حكمة من الله ، ولطفاً بعباده ، وتيسيراً لإدراك ما يصحزون عن إدراكه دون صرب أمثال . فقله يؤتى بالموت في صورة كيش أملح ، مثال ضربه ليوصل إلى الأمهات حصول اليأس من الموت ، وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة ، وثبتت العقل فيها بواسطة . ولذلك عبر القرآن بقوله **﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾** (٨٢) عن هاية صبره ، وعبر عليه السلام ، بقوله **﴿ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ أَصْبَاحِ الرَّخَمِ ﴾** عن منعة التقلب وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتابنا قواعد العقائد من ربع العبادات ، فراجع الآن إلى العرض

فالمقصود أن تعريف تورع التراجعات والبركات على الحسنة والسيئات ، لا يمكن إلا بضرب المثال ، فلتفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته ،

مقول :

(٨١) المنكبر : ١٣

(٨٢) من : ٨٢

من في الآخرة ينقسمون أصداً وشموت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والشفقة تعالى لا يدخل تحت الحصر، كما تفتوتوا في السعادة الدنيا وشقاوتها ولا تدرك لآخره في هذا المعنى ألبه. من مديرك واسكوت وحده لا شريك له، وستة الصادرة عن إرادته الأولية مطردة لا تبدل لها، إلا أن إن عجزاً عن إحصاء اتحاد المرحب، فلا يعجز عن إحصاء الأجسام.

أقسام الناس في الآخرة

الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام: هالكين، ومعذبين، وناجين، وفائزين. ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم، فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون، ويخل بعضهم فهم الناجون، ويخلع على بعضهم منهم الفائزون. فإن كان الملك عادلاً، لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق، فلا يقتل إلا جاحداً لاستحقاق الملك، معانداً له في أصل النوبة. ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بمنك وعلو درجته. ولا يخلع إلا معترفاً له برتبة الملك، لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه. ولا يخلع إلا على من أبلى حمرة في الخدمة والنصرة، ثم ينسى أن تكون صلح الفائزين مساوية الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة، وإعلاء الهالكين إما تحقيقاً بحرق الرقبة، أو تكميلاً بشبهه، بحسب درجاتهم في المعاناة، وتعذيب المعذبين في الخدمة، والشدة، وطول المدة، وقصرها، واتحاد أنواعها واختلافها، بحسب درجات نقصهم.

فتقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر. فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون. فمن هالك، ومن معذب مدة، ومن نافع يخل في دار سلامة. ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يخلون في جحش عدن، أو جنات المأوى أو جحش الفردوس. والمعذبون

ينقسمون إلى من يعذب قليلاً، وإلى من يعذب ألف سنة إلى مئة آلاف سنة، وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر (٨٣). وكذلك الهالكون الأيسون من رحمته الله تتفاوت درجاتهم. وهذه المراتب بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي، فلذلك كيفية توزيعها عليها رتبة الهالكين:

الرتبة الأولى: وهي رتبة الهالكين. ولعمري بالاضحين الآيسين من رحمته الله تعالى، إذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضمه آيس من رضا الملك وإكرامه، فلا تفعل عن معنى المثل. وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين، المتجردين للديار، المكذبت بالله ورسمه وكتبه. فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والظر إلى وجهه، وذلك لا يال أصلاً إلا بالمعرفة التي يجرعها بالإيمان والتصديق. والجاحدون هم مكرون. والمكذبون هم الأيسون من رحمته الله تعالى أيد الآياد، وهم الذين يكذبون برب العالمين، وأنبيائه المرسلين، إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة، وكل محجوب عن محبوبه فمحجول به وبين ما يشتهي لا محالة. فهو لا هنة يكون مخترقاً نار جهنم بنار العراق. ولذلك قال العارفون: ليس خوفاً من نار جهنم، ولا رجاءاً من المحور العين، وإنما مطلباً للقاء، ومهرباً من الحجاب فقط، وقالوا: من يعبد الله بموض فهو لحي، كأن يعبد لطلب جنته. أو لخوف ماره بل العارف يعبد لذاته، فلا يطلب إلا ذاته فقط. فأما الخوارج والعراكه، فقد لا يشتهيها. وأما الباطن، فقد لا يشتهيها. إذ نار العراق إذا استولت ربما علت النار اهترقة للأجسام. فإن نار العراق نار الله الموقدة، التي تطلع على الأقداس. ونار جهنم

(٨٣) حدث أن آخر من يخرج من النار يعذب مئة آلاف سنة: ثم يرى ملكاً في نواحي الأصيل من الجنة أن مرة. حبيب في حديث قال فيه وأطروغ سكا في حل الدنيا من يوم علق إلى يوم القيامة وذلك مئة آلاف سنة.

لا شغل لها إلا مع الأجسام ، وألم الأجسام يستحق مع ألم العزاد ، ولذلك قيل :

ول قزاد المص نار جوى أحمر غار الجمع أبردها

ولا ينبغي أن تكرر هذا في عالم الآخرة ، إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا ، فقد رأى من غلب عليه الوجد فعدا على النار ، وعلى أصول القصب الجارية لقدم ، وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه . وترى العصيان يستولى عليه العصب في القتال ، يخصصه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال ، لأن العصب نار في القلب . قال رسول الله ﷺ : « الْقَصَبُ قِطْعَةٌ مِنَ الثَّرَى وَاحْتِرَاقُ الْعَزَادِ أَشَدُّ مِنْ احْتِرَاقِ الْأَجْسَادِ » ، والأشد يطل الإحساس بالأضعف كما تراه ، فيس لفلانك من الدار والسيف ، إلا من حيث إنه يفرق بين جزأين . يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام . فالذى يفرق بين القلب وبين محبوبه لدى يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاماً من تأليف الأجسام ، فهو أشد إيلاماً إن كنت من أبواب البصائر وأرباب القلوب . ولا يعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم ، ويستحقه بالإضافة إلى ألم الجسم . فالصبي لو سحر من ألم الحرمان عن الكرة والصولجان . وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان ، لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلاً ، ولم يعد ذنب أماً ، وقال . العلو في الميدان مع الصولجان ، أحب إلي من ألف سرير لسلطان مع الخنوس عبي . بل من تعلبه شهوة ابطن ، لو حيز بين الحرمة والخلوة ، وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ، ويفرح به الأصدقاء ، لأثر الحرمة والخلوة .

وهذا كله لفقد المعنى الذى بوجوده يصير الجاه محبوباً ، ووجود المعنى الذى بوجوده يصير الطعم لذياً . وذلك لما استرقته صفات الهائم والسياح ، ولم تظهر فيه صفات اللاتئكة التى لا يناسبها ولا يلائمها إلا القرب من رب العالمين ، ولا يؤلفها إلا البعد والمحجبات . وكما لا يكون النوى إلا في اللسان ،

(٨٤) حديث المصطب قطعة من النار . انظر على من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

والسمع إلا في الآذان ، فلا تكون هذه الصفة لا في القلب . من لا قلب له ليس له هذا الحس ، كمن لا سمع له ولا بصير . من له لغة الألحان ، وحس الصور والأنوار . وليس لكل إنسان قلب . ولا كان لما صح قوله تعالى ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (٨٥) . من م يتذكر ما غاب من حس من القلب . وليست أعنى بالقلب هنا الذى تحسه عظام الصدر ، بل أعنى به السر الذى هو من عالم الأمر . وهو اللحم الذى هو من عالم الخلق حرشه ، والصدر كرسية ، وسائر الأعضاء عائله وعملته والله الخلق والأمر جميعاً . ولكن ذلك السر الذى قال الله تعالى فيه ﴿ قُلْ ثَرْوُكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ﴾ (٨٦) هو الأمر والملك : لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق نيباً ، وعالم الأمر أمر على عدم الخلق وهو اللطيفة التى إذا صلحت صلح سائر الجسد ، من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

وعند ذلك يشم العبد مبادئ ووائح المعنى المطوى تحت قوله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » ، ونظر بعين الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه ، وإلى المتعسفين في طريق تأويله وإن كانت رحمة للحاملين على اللفظ أكثر من رحمة للمتعسفين في التأويل لأن الرحمة على قدر المصيبة ، ومصيبة أولئك أكثر ، وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر . فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . وهو حكمته يختص بها من يشاء ، ومن يؤث الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

ولتعد إلى الغرض ، فقد أرغينا الطول وطولنا النفس ، في أمر هو أجل من علوم المعاملات التى تقصدها في هذا الكتاب . فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله ورسوله ﷺ لا تدخل تحت الحصر ، ولذلك لم نوردنا .

الرتبة الثانية : رتبة المذنبين . وهذه رتبة من نحل بأصل الإيمان ، ولكن قصر في الوفاء ، فإن رأس الإيمان هو التوحيد ، وهو أن لا يعبد إلا الله . ومن

(٨٦) الإسراء ٨٥

اسمع هوه فقد اتعد إليه ، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة . بل معنى قولك لا إله إلا الله ، معنى قوله تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٨٧) وهو أن نزل بالكلية غير الله ، ومعنى قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (٨٨) ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من سمر ، وأحد من السيف ، مثل الصراط الموصوف في الآخرة ، فلا يفتك بشر من ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير ، إذ لا يخلو عن قباح الهوى ولو في أمر قليل ، وذلك قادح في كمال التوحيد ، بقصر ميله عن الصراط المستقيم . ليست يتصور لا بحالة نقصان في درجات القرب ومع كل قصار ناران : نار المراق لذلك الكمال العائت بالنقصان ، ونار جهنم كما وصفتها القرآن . فيكون كل مائل عن الصراط مستقيم معها مرتين من وجهين ، ولكن شدة ذلك العذاب وحسنه ، وتفاوته بحسب طول مدة ، إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضعفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقلة .

وإذ لا يخلو بشر في عاب الأمر عن واحد من الأمرين ، قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وُارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نَعْنَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَزَّلْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴾ (٨٩) ولذلك قال الخائفون من السلف ، إنما خوفنا لأننا نيقنا أنا على النار واردون ، وشككنا في النجاة . ولما روى الحسن الخمر الرور (٩٠) فحين يخرج من النار بعد ألف عام . وأنه ينادي يا حنان يا منان . قال الحسن : يا ليتني كنت ذلك الرجل .

وأعلم أن في الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة ، وأن الاختلاف في مدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة ، حتى قد يبرز بعضهم على النار كبرق لحظف ، ولا يكون له فيها لبث . وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة ، من اليوم ، والأسبوع ، والشهر ، وسائر المدة .

(٨٧) الأسماء ٩١ . فصلت : ٣٠ . (٨٨) مريم : ٧١ ، ٧٢ .
(٩٠) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي يا حنان يا منان : أحمد وهو من روى أن قتال القسبل عن أبي رافع طهيف وأمه حلال بن ميمون

وير الاختلاف بالشدة لا نهاية لأعلاه ، وأدناه . بحيث يندرج في الحساب ، كما أن الميت قد يعذب بعض المنصيرين في الآمال بالمناقشة في الحساب ، ثم يعمو . وقد يضرب بالسياط ، وقد يعذب به آخر من العذاب .

ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة ، وهو اختلاف لأبواب إذ ليس من يعذب بمصادرة من فقط . كمن يعذب بأخذ المال ، وقس الولد واستباحة الحرم ، وتعذيب الأقارب ، و ضرب ، وقصع اللسان ، واليد ، والأف ، والأذن وغيره . فهذه الاختلافات تنه في عذاب الآخرة ، لا سيما فواضع شرع . وهي حسب اختلاف قوة . وضعفه . ذكره تصديقات وقتب . كثرة نسيب وقتب .

أما شدة العذاب فتشدة قبح السيئات وكبرها . وأما كثرة فكثرتها . وأما اختلاف أنواعه فياختلاف أنواع السيئات . وقد انكشف هذا لأرباب العقوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان ، وهو المعنى قوله تعالى ﴿ وَمَا وَكَّلَ بِظُلَامٍ لَنُجِيدَ ﴾ . وقوله تعالى ﴿ لِيُزِمَ تَحَرَّى كُرْ عَسْرَ بَعَا كَسِيثَ ﴾ (٩١) وقوله تعالى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٩٢) وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٩٣) إن غير ذلك مما ورد في الكتب وسه . من كبر العذاب و . ب حراء على الأعداء . وكان ذلك يعقل لا ظلم فيه . وجانب العفو والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه بأ (٩٤) سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي . ومن يدل ﴿ وَإِنْ لَكَ حَسَنَةٌ بِنِعْمَتِنَا وَنُؤْتِي مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٩٥) فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدرجات بالحسنات والسيئات ، معبومة بقواعد الشرع ونور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً . ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار .

(٩١) فصلت : ٢٦ . (٩٢) طه : ١٢ . (٩٣) نجم : ٢٩ . (٩٤) الزمر : ٧٠ ، ٧١ .
(٩٥) حديث سبقت رحمتي غضبي : مسلم من حديث أبي هريرة .
(٩٦) النساء : ٤٠

منقول كل من أحكم أصل الإيمان، واجتنب جميع الكبائر، وأحسن جميع
 الفرائض، أعنى الأركان الخمسة، ولم يكن فيه إلا صفات متفرقة لم يصر
 عليها، فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في الحساب فقط. فإنه إذا حوسب
 رحمت حاله على سيئاته، إذ ورد في الآثار أن الصلوات الخمس،
 وجمعة وصوم رمضان، كفرت ما بينهن. وكذا احتساب لكثير من محكم
 نص القرآن مكرم للصائرين. وأقل درجات التكبير أن يدفع العذاب إن لم يدفع
 الحساب. وكل من هذا حاله فقد تقيت مواريه فسفى أن يكون بعد ظهور
 الرجحان في الميزان، وبعد الفراغ من الحساب، في عيشة راضية. نعم:
 لتعاقبه بأصحاب اليمين، والمقربين، ونزوله في جات عدن، أو في الفردوس
 الأعلى، فكذلك يتبع أصناف لا يحصى، لأن الإيمان يمدد. تقبلي كبرياء
 العوام، يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه، وإيمان كشمي يحصل
 بإشراح الصدر بتور الله، حتى يكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه
 منصف أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى
 وصفاته وأفعاله. فهذا الصنف هم المقربون الزلون في الفردوس الأعلى، وهم
 على غاية القرب من الملأ الأعلى، وهم أيضاً على أصناف: فمنهم السابقون،
 ومنهم من دوزهم، وتعاونهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى؛ ودرجات
 العز في معرفة الله تعالى لا تحصر، إذ لإحاطة بكنه جلال الله غير
 ممكنة، وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق، وإنما يفيض فيه الفواصق بغير
 قوع، ويقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأرض. فطريق إلى الله تعالى
 لا نهاية لمازله قالساكون سبيل الله لا نهاية لفرجاتهم.

وأما المؤمن إيماناً تقديماً من أصحاب اليمين. ودرجته دون درجة
 المقربين. وهم أيضاً على درجات: فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب
 رتبته رتبة الأدنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر، وأدى
 الفرائض كلها. أعنى الأركان الخمسة، التي هي النطق بكلمة الشهادة
 باللسان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر، أو أهمل بعض أركان الإسلام. فإن تاب

توبة بصوناً قبل قرب الأجل، التحق بم. ارتكب. لأن تاب من تاب
 كفر لا ذنب له والتوب المصوب كالنسي. مع أصالة

وإن مات قبل التوبة، فهذا أمر يخطر على الموت. إذ ربما يكون موته على
 الإصرار سيئاً لتزول إيمانه، فيحتم له سوء خاتمة لا سيما إن كان إيمانه
 تقليدياً، فإن التقليد وإن كان جزءاً فهو غير لاخلال بأدلى شك وخیال
 والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء أهله. كلامهما إن ماتا على الإيمان
 بعداه، إلا أن يعفو الله، عذاباً عن عذاب ردة و حساب ويكون كرامة
 العقاب من حيث المنة، بحسب كثرة ما لإصرار، ومن حيث الشدة،
 بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف. ع. بحسب اختلاف أصناف
 السيئات. وبعد انقضاء مدة الحساب في البلد المقتلون في درجات
 أصحاب اليمين، والعارفون المستبصرون في أعلى عشرين على الخبر (٩٧) وآخرون
 من يخرج من النار يقطي مثل الدنيا كتب حيرة أصعاب، فلا تظن أن أفراد
 به تقديره منساح لأحرف الأحكام كتاب من فرسخ مرسجون، أو عشرة
 عشرين، بل من جهن بطريق صرب لأمر. بل هذا كفوف اعتل أحد
 منه جهلاً وأعطاه عشرة أمثاله، وكان الجمل منلوى عشرة دانير، فأعطاه مائة
 دينار. فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في الوزن، والفعل، فلا تكون مائة دينار لو
 وصحت في كمة الميزان، والجمل في الكفة لأخرى، عشر عشرة. بل هو
 موازنة صفات الأجسام وأرواحها. دون حساب وهايكها. بل أحسن
 لا يقصد لتفعله، وطوله وعرضه ومساحته. بل فيه فروجه لدية،
 وجسمه اللحم والدم، ومائة دينار عشرة أمه، بالموازنة الروحانية، لا بالموازنة
 الجسمانية. وهذا صادق عند من يعرف روحه عالية من الذهب أو الفضة من
 لو أعطاه جوهرة وربها مثقال، وقيم مائة دينار، وقد أعطاه عشرة أمثاله
 كان صادقاً. ونكي لا يدرك صدقه إلا جوهريون. بل روح الجوهريّة
 لا تترك بمجرد البصر، بل بفضة أخرى وراء البصر. فذلك يكذب به

(٩٧) حديث إن آخر من يخرج من النار يلقى مثل الدنيا كلها عشرة أصناف: يتفق عليه من حديث
 ابن مسعود.

المسيح على القروى واليدوى، ويقول ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال، ووزن الجمل ألف ألف مثقال، فقد كذب لي قوله إن أعطيته عشرة أمثاله. والكذب باسحقين هو المسيح ولكن لا سبل إن تحقق ذلك عنه إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال، وأن يحصل في قلبه النور الذي يترك به أرواح الخواهر وسائر الأموال، فعند ذلك يكشف له الصديق. والعارف عماجر عن تفهيم لقلة القاصر صديق رسول الله ﷺ في هذه الموازنة إذ يقول ﷺ (٩٨) «أَلْحَنُ فِي السَّمَوَاتِ» كما ورد في الأخبار، والسماوات من الدنيا، فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يصحز البالغ عن تفهيم المسي تلك الموازنة. وكذلك تفهيم اليدوى.

وكما أن الجوهرى مرحوم إذا بل باليدوى والقروى في تفهيم تلك الموازنة، فالعارف مرحوم إذا بل بالبليد الأبهة في تفهيم هذه الموازنة. ولذلك قال ﷺ (٩٩) «ارْخَمُوا فَلَا تَلَاةَ عَالِمًا بَيْنَ الْجُهَالِ وَغَنَى قَوْمٍ افْتَقَرُوا وَغَنَى قَوْمٍ فَلِ» والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب، ومقاماتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم، وامتحان، واجتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله الفصاء الأول، وهو المسي بقوله عليه السلام (١٠٠) «الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ».

فلا تنقض أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام، وهو الذي ينزل بالبدن، فبب بلاء نوح عليه السلام أيضاً من البلاء العظيم، إذ بب جماعه كان لا يريدهم دعاؤه إلى الله إلا فراراً، ولذلك لما تأدى رسول الله ﷺ بكلام بعض الناس

(٩٨) حديث كون الجنة في السماوات : بب من حديث أبي هريرة في التاء حديث فيه فإنه سألت الله فأسأله الفردوس فإنه لو سبط الجنة وأعلى الجنة وقوته عرش الرحمن .

(٩٩) حديث أرخموا ثلاثة علماً بين الجهال : بب الحديث : بب حران في الصفراء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس ومحمّد بن عيسى ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال علم ثلاثه به الصبيان وفيه أبو بصير ومحمّد بن وهب بن وهب أحد الكنديين .

(١٠٠) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولاء ثم الأمثل فالأفضل : بب الحديث : بب صحيحه السنن في الحديث : بب ما جاء من حديث مسلم بن أبي وقاص وقال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاءه فذكره دون ذكر الأولاء ونظروا في من حديث فاصلة أشد الناس بلاءه الأنبياء ثم الصالحون : بب الحديث .

«رَجِمَ اللَّهُ أَحْمَرَ مُوسَى لَقَدْ أَوْدَى بِكُنْزٍ مِنْ هَذَا قَمْصَر» فإذا لا حبو الأنبياء من الابتلاء بالجاهدين، ولا حبو الأولياء والعلماء من الابتلاء بالجاهدين، ولا حبو القسمة لؤس، عن صلات من إلهاء وأنواع البلاء. والإخراج من البلاد، وسعيه به في البلاد، وشبهه عليه بكفر والخروج من بين واحد أن يكف عن معرفة عند أهل من الكهف، كما حب أن يكف بعد من من كبير جوهرة صغيرة عند

عندما عرفت هذه الدقائق، فمن حبه عليه السلام به بعض آخر من خرج من النار مثل الدنيا عشر مرات، وبب أن يصبر بتصديق على ما يدركه كاصبر وحوس فقد. فكيف حبه به، لأن حبه بشاركت في حوس حبس، وبب أن صديق حبه به ببى. عرص عن السماوات والأرض، والخيال، فبب أن يحسه وأشقى به، فإذا رك ما يخرج من عالم الحواس الخمس، لا يصادف إلا في عدم ذلك سر الذي فارت به الحمار وسائر البهائم. فمن ذهن عن ذلك، وعظه وأمنه، وقع بدرجة البهائم، ولم يجاوز الخمسوات فهو الذي أهلك نفسه بتعذيب، ونسبها بإعراض عنها، فلا تكونوا كالذين نسوا الله، فأساهم أنفسهم : فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله إذ ليس ذات الله مدرك في هذا العالم بالحواس الخمس. وكل من نسي الله أساء الله لا بحالة نفسه، وبب أن نسيه البهائم، وتترك الفرق إلى الأفق الأعلى، وخان في الأمانة نسي أودعه الله تعالى وأمنه عليه كاهراً لأنعمه ومتعرضاً لشتمه. إلا أنه أسوأ حالاً من البهيمة، فإن البهيمة تتخلص بالموث وأما هذا فعنده أمانه سترجع لا بحالة إلى مودعها، فبب مرجع الأمانة ومصيرها : وتلك الأمانة كالشمس الزاهرة، وإنما حبطت إلى هذا الغالب العاني وعرب فيه، ستضع هذه الشمس عن حراتها من معرفتها وعود إلى بدتها وغالفها، إما مظلمة مكسفة وإما زاهرة مشرقة. والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حصرة الربوبية، والمظلمة أبع وأجعة إلى الحضرة، إذ المرجع

(١٠١) حديث رجم الله أحمر موسى لقد أودى : بب من حد صحر : بب البخاري من حديث أبي مسلم

والتصدي لكل إليه ، إلا أنه ما كنه رأسها عن جهة أعلى عيين إلى جهة أسفل
 مذهب . وحدث قل تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذُ الْمُخْرُجُونَ تَأْكِنُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ ﴾^(١) من أنهم عند ربهم إلا أنهم مكسور . قد انقلب وجوههم إلى
 أنفسهم وانكسرت وجوههم عن جهة فوق إلى جهة أسفل ، وحدث حكم الله
 فيمن حرمه توقيفه ، ولم يده طريقه ، فعود بالله من الضلال ، والبرول إلى
 منازل الجهال

هذا حكم انقسام من يخرج من النار ، ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو
 أكثر . ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بسمائه
 لا إله إلا الله ، فإن الناس من عالم الملك والشهادة ، فلا يصح إلا في عالم الملك ،
 فيدفع السيف عن رقبة ، وأيدي الغائبين عن ماله ، ومدة الرقبة والمال مدة
 الحياة . فحيث لا تبقى رقبة ولا مال ، لا يصح القول باللسان . وإنما يصح
 الصدق في التوحيد . وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله وعلامته
 أن لا يعصب عن أحد من الخلق بما يجري عليه ، إذ لا يرى الوسائط ، وإنما
 يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل . وهذا التوحيد متفاوت . فمن
 الناس من له من التوحيد مثل الجبال ، ومنهم من له مثقال ، ومنهم من له مقدار
 حردلة وبرة . فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان ، فهو أول من يخرج من النار
 وفي الخبر يقال^(٢) : « أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ »
 وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . ومن بين انشغال والبدية على
 قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة ، والموازنة
 بين المثقال والذرة على سبيل ضرب المثل ، كما ذكرنا في موازنة بين أعين الأسمان
 وبين القنود . وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد . فسيوان العباد هو
 الدعوان الذي لا يترك . فأما بقية السيئات فيتسارع العقو والتكفير إليها . فمن
 الأثر أن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى ، وله من الحسنات أمثال الجبال ، لو
 سلمت له لكأن من أهل الجنة ، فيقوم أصحاب المظالم ، فيكون قد سب عرض

(١-٢) السجدة

(١-٢) حديث أخرجه من النار في قلبه مثقال دينار من إيمان من الحديث تقدم

هذه . وأحد من هذه ، وحسب هذه فيفتقر إلى حسنه حتى لا يبقى له
 حسنة ، فتقول ملائكة بارئ هذا قد فيه حسنة ، ومنى صواب كبر
 يقول الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ مِنْ سِتْرِكَ عَلَى سَبِيلٍ » . وحسبوا له حسناً إلى المال
 وكما بهت من سبب غيره بغيره . فكذلك ينحو المظلوم حسنه
 عدم ، إذ يصح فيه خوف عدمه . وفي كفى عن ابن الجلاء ، أن بعض
 إخوانه عتبه . ثم أرسل إليه يسحبه . فتدبر : لا أفعل ليس في صحيفتي
 حسنة أفضل منها ، فكيف أحوها ؟ وقال : « وغيره : ذنوب إخواني من
 حساني ، أريد أن أرين بها صحيفتي »

هذا ما ردا أن يذكره من اختلاف العبد في السعد في درجات السعادة
 وسنذكره . وكل ذلك حكمة تدبر . وهذا حكم الطبيب على مريض
 أنه يموت لا يحسنه لا يسر علاج ، وعلى من عجز آخر بأن عارضه خفيف
 وعلاجه هين . فحدث من ينسب في أكد لأحوال . ولكن قد تنوق في
 اشرف على أفلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب ، وقد يساق إلى دى
 العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه . وحدث من أمر الله تعالى
 الخفية في أرواح الأحياء ، وعموض الأسباب في رتبها مسبب الأسباب بقدر
 معوم . إذ ليس في قوة البشر لتوقيف على شيء . فكذلك سجد وجور في
 الآخرة لهما أسباب خفية ، ليس في قوة البشر للاصلاح عليها . يعبر عن ذلك
 السبب الخفي الملقى إلى الشجرة بالعمو والرضا ، وعمما يعصى إلى الهلاك
 بالعصص . ولا يتم دوراه ذلك من المشيئة الإلهية الأزلية ، التي لا يصح الخلق
 عليها . فحدث يجب عليها أن تجوز العمو عن لعاصي وإن كثرت سيئاته
 الظاهرة ، والعصص على الطمع وإن كثرت مكراته الظاهرة . من الاعتدال على
 سبيل من لا تقوى له عيب . وهو عمن من أن يصنع عيه صاحبه ، فكيف
 غيره ! ولكن قد اكتشف لأرباب القلوب أنه لا عجز عن عيب إلا بسبب حمي
 فيه يقتضي العمو ، ولا غصب إلا بسبب من يقتضي العبد عن الله تعالى
 وبولا حدث لم يكن العمو وعصب جراء عن الأعمال والأوصاف ، وبولا يكن
 جراء لم يكن عدلاً ، وبولا يكن عدلاً لم يصح قوله تعالى ﴿ وَتَعَا وَتُكَلِّمُ بَطْلَانٍ ﴾

البعير عنه في هذا العلم . فهو الذي أحبه قوله تعالى ﴿ فَلَا تَقْلُمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيتُ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾^(١١١) وقوله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . والعارفون منهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الخور ، والقصور ، والفاخرة والبس ، والغسل والخمر ، والحق والأساور ، فإيهم لا يحرصون عليها ، ولو أعطوها لم يقبضوا بها . ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله عز الكريم . فهي عاية السعدت ، وهي علة السوء . فلهذا رابعة العنوة رحمة الله عليها : كيف رغبتك في الحياة ؟ فقلت الجارم الدار . فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وربها ، عن كل شيء سواه ، حتى عن أنفسهم . ومتألم مثل العاشق المستتر بمحشوقه . المستيق همه بالنظر إلى وجهه والمكر فيه ، فيه في حال الاستغراق عليل عن نفسه . لا يحس بما يصيبه

في بدنه ويحمر عن هذه الحالة بأنه في عن نفسه . ومما أنه صار مستغرقاً بغيره ، وصارت همومه هي واحداً وهو محبوبه ، ولم يبق فيه متسع لمحور محبته حتى يلتصق إليه ، لا لئمه ولا غير نفسه . وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قررة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر ، كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والأحزان على قلب الأصم والأكمه ، إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه ويصره فبعد ذلك يترك حاله ، ويعلم قطعاً أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته ، فالدنيا حجاب على التحقيق . ورفعه يكشف إعطاء ، فبعد ذلك يدرك دوق الحياة العلية ، وأن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون .

بهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات على الحسات ، والله الموفق بطقه .



الفصل الرابع بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم أن الصغرة تكرر بأسباب : منها الإصرار والمواظبة . وذلك قيل لا صغرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استعصاء . فكبرية واحدة تصرم^(١١١) ولا يتمها مثلها لو تعصرت ذلك ، كان العصر . أرحى من صغرة يواظب العبد عليها . ومثال ذلك فطرات من الماء تقع من الحجر على قوال فتؤثر فيه ، وذلك العصر من الماء لو صب عليه دمة واحدة . ثم وحدث قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الْأَعْمَالِ أَذْوَمُهَا وَإِنْ قُلْنَا : أَشْيَاءُ تَسْتَبِينَ بِأَخْذِهَا . وَإِنْ كَانَ النِّافِعُ مِنَ الْعَمَلِ هُوَ الدَّامِ وَإِنْ قُلْنَا : فَالْخَيْرُ الْمَصْرَمُ قَلِيلُ الْمَعِ فِي تَوْبِهِ الْقَبْ وَتَطَهَّرَهُ ، فَكَذَلِكَ الْقَبِيلُ مِنَ السَّيِّئَاتِ . دَامَ عَظُمُ تَأْثِيرِهِ فِي إِطْلَامِ النَّفْسِ .

إلا أن الكبيرة قسماً يتصور الطحوم عتياً بعد من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر قسماً يرقى الزان بئحة من غير ميلودة ومقدمات . وقسماً يقتل بئحة من غير مشاحة سابقة ومعاداة . فكل كبيرة تكتمها صغائر سابقة ولاحتة . ولو تصورت كبيرة وحده بئحة . و- يبق إليها هود ، وي كالمعور فيها رجي من صغيرة واظب الإنسان عليها عسى ..

(١١١) تصرم : سقم

(١١٢) حديث خير الأعمال قومها . من - من حب من - قاله الله سبحانه وأحب وقد تقدم

استصغار الذنوب

وما أن يستصغر الذنب . فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر
عند الله تعالى وكما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استعظمه بعد عن
صور نفسه . وكبره عنه . وحدث السمع يبع من شدة أثره به . استصغر
يهدر عن لأف به . وحدث يوجب شدة الأثر في حسد القلب هو مصوب
توبيره بالضعف و محذور موبده . مستبانات . وحدث لا يؤخذ به أخرى عنه
في المعنى . فإن القلب لا يثبت على أخرى في نفسه . وقد جاء في خبر
« السُّؤْمُ يُرَى ذَنْبُهُ كَلْجِيلٍ هَوَّةٌ يَخُوفُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَلَسْتُ بِأَيُّ ذَنْبُهُ
كَذَبَابٍ نَزَّ عَلَى أُنْفِهِ فَطَارَهُ »

وقال بعضهم الدب يدى لا يعبر ، فلو انعد بيت كل دب غصه من هذا ، وإنما يعظم الدب في قلب المؤمن عنه جلال الله ، وقد نظر إلى بعض بنيائه من عصى آية رأى الصغرة كبيرة ، وقد أوحى الله تعالى إلى بعض بنيائه لا تنظر إلى منه هذه ، ونظر إلى غصه مهددا ، ولا تنظر إلى صغر حصيته ، وانظر إلى كبرياء من واجهته بها ، وهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغرة ، بل كل مخلقة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصالحين رضى الله عنهم لتبين ، وبكم تعملون أعلا هي في أعينكم ذو من شعر ، كما بعده عن عهد رسول الله ﷺ من الموت يد كانت معرفة الصغرة بخلاف الله تعالى فكانت الصغائر حدهم بالإصافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر وهنا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ، ويتجاوز من العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن الدب والمخلقة يكبر بقدر معرفة المتخالف

(۶۱۳) حدیث غوث مری دینہ کالج لاہور - حدیث احمد بن حنبل سے روایت ہے کہ نبی صلی اللہ علیہ وسلم نے فرمایا کہ میں نے اپنے رب سے کہا کہ میرے لیے ایک ایسے بند کو بھیج دو جو میرے ساتھ ہو اور وہ میری ہر بات پر عمل کرے۔

السرو والصغيرة

ومما سرور صغيره - وشرح وفتح
 فمعة وحفنة عن كونه سب مشادة هكذا. قلت حلاوة الصغيره عند
 تعيد كذا صغيره وعنده انه في سوية ما حتى ان من ابدي من
 يمدح فيه ويصح به. ثم ذكره في قوله. كما بقا لما رأيت
 كيف مزق عرسه. ويصير مدح في محله. لما رأيت كيف فصحه؟
 وكيف ذكرنا مساويه حتى نجيده. وكيف سحقت به؟ وكيف يست
 عليه؟ ويصير مدح في محله. ثم رأيت كيف روجع عليه الرائف؟
 وكيف حذره؟ وكيف غبه في محله؟ وكيف حذره؟ وقد وثقه بكر
 به بعد ذلك. ومن دنوب ميتات. ور. دفع مدح. وبيا. وصبر. سيقان. يد. ثم
 الحمل عينا. فيمضي أن يكون في مقصية وتنبس بسبب غبه العدو عليه.
 وبسبب بعده من الله تعالى. قلنا بعض الذي يصرح بأن يكسر إناؤه الذي فيه
 دونه. حتى يحقق من أنه شره. لا يخرج من سبوة

التَّهَارُونَ بِسْمِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ

وما أن يتصور بشر قد علمه ، وحلمه عيه ، وإمهده إياه ، ولا يدري أنه
إنما يحل مقتدا لرداد بالإعمال إثره . فبعض أثر نكته من المعاصي عناية من الله
تعالى به . فكل من ذلك لأمر من مكر الله . وحبه بكم من العو . يا الله كما قال
عليه **﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
بِصْنُونِهِمْ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾** .

(٩٩٤) السجدة الحجر

(۶۱۵) مقررہ الذیوب بشرط : کہ چاہا

A = 42.4 (9.9)

الركن الثالث

في تمام التوبة وشروعها ودوامها
إلى آخر السمر

- بيان شروط التوبة ودوامها .
- بيان كعبة تدارك ما مضى من المصير .
- بيان طريق كل نائب في رد المظالم .
- بيان أقسام التائب في دوام لتوبة .
- بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب - حري عليه ذلك إما عن قصد وشهوة غالية ، أو عن إتمام بحكم الاتفاق .
- ثمرة التوبة .



الفصل الأول

بيان شروط التوبة ودوامها

تمهيد :

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزمًا وقصدًا . وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلًا بينه وبين محبوبه . ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وثبات . ولتمامها علامة ، ولدوامها شروط . فلا بد من ثباتها .

أما العلم فالنظر فيه نظر إلى سبب التوبة وسببها . وأما الندم : فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة ، والحر ، وانسكاب الدمع ، وطول البكاء والمكر . فمن استشعر عقوبة مآلة بولده أو بهيمه أعرته ، طال عليه مصيبته ونكاته . وأى عزيز أفر عليه من نفسه ، وأى عقوبة أشد من النار ، وأى شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأى خير أصدق من الله ورسوله ! ولو حدثه إنسان واحد يسمى عبيدًا ، أن مرضى ولده المريض لا يبرأ ، وأنه سيوت منه ، لعقل في الحال حره . فليس ولده بأعز من نفسه ، ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ، ولا الموت بأشد من النار ، ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى ، والتعرض بها للنار . فأنم الندم كلما كان أشد كان تكفير السبب به أرجى . فعلامة صحة

الدم رقة القلب ، وحرارة الدمع . وفي الخبر (١٢٢) : جالسون التوابين قبلهم أرقق أفقده .

ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الدنوب في قلبه بدلاً عن حلالاتها ، فيستدل بالليل كرمية ، وبالرغبة بصرى . وفي الأسراليات أن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه ، وقد سأله قبول توبة عبد ، بعد أن اجتهد سبعين في معصيته ولم ير قبول توبته فقال : وعرق وجلال ، لو شمع فيه أهل السموات ولأرض ما غلبت برهه ، وحلاوه دمع الدنس الذي تاب منه في قلبه . فبقيت فالدنوب هي أعمال مشبهة بالصبيح ، فكيف يجد مرارتها .

فأقول : من تناول عسلًا كان فيه سم ، ولم يدركه بالذوق ، واستبد به غم مرض وحال مرضه والله ، وتناثر شعرة ، وعلجت أعصابه (١٢٣) ، فوجد قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم ، وهو في عية الجوع والشهوة بالحلاوة ، فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فإن قلت لا ، فهو جحد للمشاهدة والضرورة . بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضاً ، لشبهه به : فوجد أن الثائب مرارة الدنس كذلك يكون وذلك لعلمه بأن كل دس قدوقه ذوق العسل ، وعمله عمل السم . ولا تصيح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان . ولما عر مثل هذا الإيمان عزت التوبة والثابون فلا ترى إلا معرضاً عن الله تعالى ، متهاوياً بالدنوب ، مصرّاً عليها . فهذا شرط تمام الندم . وينبغي أن يلوم إلى الموت . وينبغي أن يجد هذه المرارة في جميع الدنوب ، وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل ، كما يجد مشاغل السم في العسل البقة من الماء البارد ، مهما علم أن قلبه مثل ذلك السم ، إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر الثائب من سرقه ورواه من حيث به سرقه وربما ، بل من حيث به نخاعه أمر الله تعالى ، وذلك جار في كل ذنب .

(١٢٢) حديث جالسو التوابين فربهم أرقق أفقده لم أجده مرفوعاً وهو من قول عروة بن عبد الله رواه ابن أبي الدنيا في التوبة قال جالسو التوابين فربهم أرقق أفقده لم أجده مرفوعاً وقال أحمد : ما يرويه عن غلوهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب وقال أيضاً الخليل أسرع جمعة وأرقق قلباً .
(١٢٣) أصابها الفالج وهو فاء يحدث في أحد شقي البدن فيعطى إحساسه وحركته (الشلل النصفي) ما .



الفصل الثاني

بيان كيفية تدارك ما فات

وأما القصد الذي ينبعث منه ، وهو إزاحة التدارك ، فله تعلق بالحال ، وهو يوجب ترك كل محذور هو ملاهي له ، وأد . كل فرض هو متوجه عنه في الحال وله تعلق بالمضي ، وهو تدارك ما مرط . ويستقبل ، وهو دوام الطاعة ، ودوام ترك المعصية إلى الموت . وشرط حسب فيما يتعلق بالمضي ، أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالسر أو الاحتلام . يبحث عما مضى من عمره سنة ، وشهراً شهراً ، ويوماً يوماً ، يوماً يوماً . ويصر إلى الطاعات ما انتهى قصر فيه منها ، وإلى المعاصي ما انتهى قصره فيها .

كيفية التوبة من ترك الصلاة أو فسادها

من كان قد ترك صلاة ، أو صلاها في توب نجس ، أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط الية . فيقتضيها عن آخرها . فإن شئت في عدد ما فات . بها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ، ويقضى الباق . ولو أن يأخذ فيه بغالب الظن ، ويحصل إليه عن سبيل التضرع والاجتهاد

التوبة من ترك الصوم

وأما الصوم ، من كان قد تركه في سقر ، أو بعضه ، أو أفطر عمدًا ، أو سقى الله بالليل ولم يقض ، فيتعرف بمجموع غنم بالتحرى والاجتهاد ، ويشغل بقصده

التوبة من ترك الزكاة

وأما الزكاة ، فيحب جميع ماله ، وعند السيئ من أول ملكه لا من زمان البلوغ ، فإن الزكاة واجبة في مال الصبي : فيؤدى ما عزم به مال الضئ لله في دمه . إن أداه لا عن وجه يوافق مذهبه ، بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية ، لم يخرج قبل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، فمضى جميع ذلك ، وإن ذلك لا يحرمه أصلاً وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يصح . انتج فيه من تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء .

التوبة من ترك الحج

وأما الحج ، فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتصل له الخروج ، والآب قد أفلس فعنه خروج . فإن لم يقدر مع الإفلاس ، فعليه أن يكسب من الحلال قدر الراد . فإن لم يكن له كسب ولا مال ، فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يجمع به ، فيه إن مات قبل الحج مات عاصياً قال عنه سلام : " من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً " وإن شاء نصرانياً ، والمعز الصاري بعد القدرة لا يستغنى عنه حج فيه طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها .

التوبة من المعاصي

وأما للمعاصي ، فيحب أن يقتش من أول بلوغه عن جميعه ، وبصره ولسانه ، وبطنه ، وبهده ، ورجله ، وفرجه ، وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ، ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه ، حتى يطلع على جميعها صغارها وكبارها ، ثم ينظر فيها .



(١٢٤) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً — الحديث — تقدم في الحج

الفصل الثالث

بيان طريق كل تائب إلى رد المظالم

المعاصي التي بين العبد وبين الله

وما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظنة العباد ، كنظر إلى غير محرم ، وقعود في مسجد مع حبة ، ومن مصحف بهر وصوء ، واعتقاد بدعة ، وشرب خمر وسج ، وغير ذلك ما لا يعنى بمظالم العباد ، فالتوبة عنها بالنسبة والتحرر عنها ، وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث البسوة ، ويطلب بكل ماله من حصة نفسه . فإن من الحسنات بمقدار تلك السيئات ، أحداً من دمه . ^(١٢٥) اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، بل من قوله عز وجل : ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^(٩٥١) ^(٩٥٢) ^(٩٥٣) ^(٩٥٤) ^(٩٥٥) ^(٩٥٦) ^(٩٥٧) ^(٩٥٨) ^(٩٥٩) ^(٩٦٠) ^(٩٦١) ^(٩٦٢) ^(٩٦٣) ^(٩٦٤) ^(٩٦٥) ^(٩٦٦) ^(٩٦٧) ^(٩٦٨) ^(٩٦٩) ^(٩٧٠) ^(٩٧١) ^(٩٧٢) ^(٩٧٣) ^(٩٧٤) ^(٩٧٥) ^(٩٧٦) ^(٩٧٧) ^(٩٧٨) ^(٩٧٩) ^(٩٨٠) ^(٩٨١) ^(٩٨٢) ^(٩٨٣) ^(٩٨٤) ^(٩٨٥) ^(٩٨٦) ^(٩٨٧) ^(٩٨٨) ^(٩٨٩) ^(٩٩٠) ^(٩٩١) ^(٩٩٢) ^(٩٩٣) ^(٩٩٤) ^(٩٩٥) ^(٩٩٦) ^(٩٩٧) ^(٩٩٨) ^(٩٩٩) ^(١٠٠٠) ^(١٠٠١) ^(١٠٠٢) ^(١٠٠٣) ^(١٠٠٤) ^(١٠٠٥) ^(١٠٠٦) ^(١٠٠٧) ^(١٠٠٨) ^(١٠٠٩) ^(١٠١٠) ^(١٠١١) ^(١٠١٢) ^(١٠١٣) ^(١٠١٤) ^(١٠١٥) ^(١٠١٦) ^(١٠١٧) ^(١٠١٨) ^(١٠١٩) ^(١٠٢٠) ^(١٠٢١) ^(١٠٢٢) ^(١٠٢٣) ^(١٠٢٤) ^(١٠٢٥) ^(١٠٢٦) ^(١٠٢٧) ^(١٠٢٨) ^(١٠٢٩) ^(١٠٣٠) ^(١٠٣١) ^(١٠٣٢) ^(١٠٣٣) ^(١٠٣٤) ^(١٠٣٥) ^(١٠٣٦) ^(١٠٣٧) ^(١٠٣٨) ^(١٠٣٩) ^(١٠٤٠) ^(١٠٤١) ^(١٠٤٢) ^(١٠٤٣) ^(١٠٤٤) ^(١٠٤٥) ^(١٠٤٦) ^(١٠٤٧) ^(١٠٤٨) ^(١٠٤٩) ^(١٠٥٠) ^(١٠٥١) ^(١٠٥٢) ^(١٠٥٣) ^(١٠٥٤) ^(١٠٥٥) ^(١٠٥٦)

فرب البياض يران بالسواد لا بالحرارة وجودة. وهذا التصريح والحنق من
 الصف في طريق الحق والرجاء فيه أصدق، والثقة به أكثر من أن يواطى على نوع
 واحد من العباد، وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في عوفا حكم ما فيه وبين
 الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بعبده أن حب الله رأس كل حقيقة،
 وثباته في قلب في قلب سرور بها وحبها بها فلا جرم كان كل أذى
 يقبض الله به عليه من الله عن ذلك يكون كفارة له إذ القلب يتحلى
 بصوم وبعبادة عن دار الصوم قد عرفت من الذنوب ذنوب لا
 يكثرها إلا لهموم. وفي بعض آراء الأئمة بطيب المعيشة. وفي حديث
 عائشة رضي الله عنها: «إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال
 نكحها أدخل الله تعالى عليه لهموم فكأن كثرة لذنوبه بعد إن أهم
 الذي يدخل على عبده والعبد لا يعرفه هو صفة الذنوب وهذا وشعور
 القلب بوقته حساب وهو لا يصعب من قسوة هذا الإنسان على عمله وولده
 وحده، وهو حقيقة، فكيف يكون كفارة؟»

فاعلم أن الحب له خطيئة، والحرم له كفارة. ولو تمتع به تمت الخطيئة
 بعد روى أن حبيب عليه السلام، دخل على يوسف عليه السلام في السجن،
 فقال له: كيف تركت الشيخ بكيب؟ فقال قد حزن عليك حرب مائة ثكل.
 من فعله عند الله؟ من آخر مائة شهيد حرب صوم أيضاً مكفرت حقوق
 الله بهذا حكمه من بين الله تعالى



(١٢٧) حديث من الصوم فرب لا يكثرها إلا لهموم وفي لفظ آخر إلا الله في طيب المعيشة. طس
 وأبو يعقوب في الحديث في التخصيص من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وقدم في الكناج
 (١٢٨) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال نكحها أدخل الله عليه لهموم: تقدم أيضاً في
 الكناج وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ إله الله: حرب

مُظَالِمُ الْعِبَاد

وأما مظالم العباد فثمة أيضاً معصية وحماية من حو الله تعالى رب الله تعالى
 من عن ظلم العباد أيضاً فقد يتحقق منه من الله تعالى تتركه باسم
 والتحرر، وترك مثله في المسيرة والإيمان. كانت هي ضدده
 فيقبل إبداءه الناس بالإحسان إليه ويكثر من أموره يتصدق بمك
 الحلال ويكثر تدوير غرائبه بأهله وماله من أهل الدين.
 وإصبر ما يعرف من حلال آخر من أمره. ومنه ويكثر من الصوم
 برضا رزقاً لأن ذلك حياة. وقد العهد بعبده، موجود سيده
 وإعلاق إحد لا يقدر الإنسان على أكثر منه. فمن الإعداء بالإبداء ومنها
 يعرف أن ما ذكرناه من سبب صريح صدقة في سكفر وهو مشهود به في
 لشرع، حيث كثر انقلب بوعي رفته. ثم من ذلك كنهه بوجه ومن
 يكفه، مام يخرج عن مظالم العباد. وهذا بعد من في شمس، أو لأموال،
 أو الأعرص، أو المصوب أعنى به لإبداء الخضر من لشمس، من حرى عبه
 قتل خطأ، فتوبته تسليم الدية ووصولها إلى المسحق، إما منه أو من عاقلته.
 وهو في عهده ذلك قبل توصيته. وإن كان عملاً موجياً لنقصان
 فالقصاص: فإن لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عدو له الدم، ويعكفه في
 روحه، من شاء عطا عه، وإن شاء قتله ولا تست عهده إلا بهد. ولا يجوز
 له لإحداء وليس هذا كما يورث، أو شرب أو سرق، أو قلع صريع، أو
 بشر ما حب عليه من حد الله تعالى، فإنه لا يبرأ في توبة أن يفسح نفسه،
 ويهد ستره ويتنفس من الوالي سيده، حتى من تعزى من عبه أن يتسر
 بسر الله تعالى، ويقبض حد الله على نفسه بأنواع محصية واستعبد. وهو في
 محض حقوق الله تعالى قريب من سبب شامدين فإن رفع أمر هذه إلى الوالي
 حتى قوم عنه أحد، وقع موقعه، وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله

تمالى ، بدليل ما روى (١٢٩) أن ما حوز من مالك ، أنى رسول الله ﷺ فقال :
 يا رسول الله ، إني قد ظلمت نفسي وزنت ، وإني أريد أن تطهرني . فرده .
 فيها كان من المدة أنه قال : يا رسول الله إني قد زنت . فرده الآية .
 كان في الثالثة ، أمر به فحفر له حفرة ، ثم أمر به فرجم . فكان الناس فيه
 مريم بن قيس بن مضر بن كنانة ، وأحاص به حصينه . وبن بن مضر بن مازنة
 أبيه من ماله . فقال رسول الله ﷺ : لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة
 لَوَسَّعَتْهُمُ . وجاءت العامية فذبت يا رسول الله ، إني قد ريت
 تطهرني . فردها . فلما كان من المدة قالت يا رسول الله ، م بردي .
 أن ترددي كما رددت ما عزا . فوافقه إلى الحبل . فقال ﷺ : أما الآن فأذهب
 حتى تضعي . فلما ولدت أتت بالعسي في خرقة . فقالت هذا قد ولدته . قال
 : اذهبي فأرضعيه حتى تقطعيه . فلما قطعت أتت بالعسي وفي يده كسره
 حبر . فقال يا سي الله ، قد قطعت : وقد أكل الطعام فدفع العسي إلى رجل
 من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجوها . فأقبل
 خالد بن الوليد بحجر ، رمى رأسها ، فصاح به عن وجهه . فسمع
 رسول الله ﷺ به إياها فقال : مهلاً يا خالدة فوالذي نفسي بيده لقد كاثرت
 توبة لو لانيها صاحب مكسر لفيز له . ثم أمر بها ففصل عنها ودفنت .

وأما الفصاح وحده القذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه . وإن
 كان المتناول ما لا تناوله بقصبة ، أو خيبة ، أو سب في معاملة مع تبرر ،
 كزوج زائف ، أو متر عيب من المبيع ، أو نقص أجرة أجير ، أو مع أجرة ،
 فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه ، بل من أول مدة وجوده . فإن
 ما يجب في مال العصى يجب على العصى إخرجه بعد السوء ، إن كان سوء .

(١٢٩) حديث آخر عارف ما روى عنه حتى اعترف لربها وقوله لقد تاب توبة . الحديث :
 عن من حديث ربيعة بن الحبيب .
 ورواه حديثه المصنف والآخرها بالمراد وقوله ﷺ لقد تاب توبة . الحديث : مسلم من
 حديث ربيعة وهو يصر الذي له .

قصر فيه ، فإن لم يفعل كان طائفاً معذباً به . وفي حديثه : من عصى
 والبالع . ولما حسب نفسه على الحيات والمواقر . أول يوم حياته من يوم
 توبته . قيل أن يحاسب في القيامة . وليأقش قبل أن ياقش من لم يحاسب نفسه
 في الدنيا حال في الآخرة حسبه . من حصل عذر . عيبه من عذاب وبيع
 من لا اجتهد تمكس ، فيكبه ، وليكتب أسمى أصحاب المظالم واحداً واحداً ،
 والمصنف في سوحى العمد ومصيبه . وليحسب . ويذكر حبيبهم وهذه
 التوبة تشق على الطلعة وعمل النجار ، فإنهم لا يسرون على صلب العاصين
 كهم ، ولا على طلب ورثتهم . ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يضر
 عليه . فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من حسرات ، حتى تفيض عنه
 يوم القيامة ، فتؤخذ حسناته وتوضع في مواز أبواب الظلال وليكن كثرة
 حسنه يضر كثرة مظالمه ، فإنه إن لم تف بها . حسنه من حيث أبواب
 المظالم : فهلك بسببات غيره

فهذا طريق كل تائب في رد المظالم . وهو يرجب استعراق العمر في
 الحسرات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف ذلك مما لا يعرف ،
 وربما يكون الأجل قريباً فيبسى أن يكون تشمره سمحات والوقت ضيق ،
 أشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الأوقات . هذا حكم المظالم
 الثابتة في ذمته . أما أمواله الخاضعة . فتدبر إلى ذلك ما يعرف له ملكاً معيناً ،
 وما لا يعرف له ملكاً فعليه أن يتصدق به . فإن خست الخلال بالحرام فعليه أن
 يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ، ويتصدق بدت أصدر كما سبق تفصيله في كتاب
 الخلال والحرم . وأما الحدية عن الصوب تمتد إلى الناس بما يسوءهم أو يهيبهم
 في النية . فيطلب كل من تعرض له بلسانه ، أو أدى قلبه بفعل من أعماله ،
 وليستعمل واحداً واحداً منهم . فمن مات أو عت فقد مات أمره ، ولا يتشارك
 إلا بتكثير الحسرات ، فتؤخذ منه عوضاً في نية . وأما من وجدته وأحله
 بحسب قلب منه ، فذلك كفرته . وعنه أن يخرجه قدر جانيته وتعرضه له .
 فلا يستعمل منهم لا يكفى . ويرى لو عرف . من وكثرة تعد به عليه ثم نصت
 عنه بالإحلال ، وأدبر ذلك في القيامة فخره بأحدها من حسناته ، أو بحمله

ومن مهمات التأنيب إذا لم يكن عالماً أن يتعلم ما يجنب عليه في المستقبل ، وما يحرم عليه ، حتى يمكن الاستغناء وإن لم يؤثر التوبة لم تتم له الاستغناء المطلقة ، إلا أن يتوب عن بعض الذنوب ، كالتدب عن الشرب والرفا والغضب مثلاً ، وليست هذه توبة مطلقة . وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة لا تصح . وقال قائلون : تصح . ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل . بل قول من قال لا تصح إن عيبت به أن تركه بعض الذنوب لا يبعد أصلاً ، بل وجوده ككلمته ، فما أعظم خطأك . فإنما نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب ، وقتنا لسبب لغته . ونقول لمن قال تصح ، إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفوز ، فهذا أيضاً خطأ . بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر . — سلكم في خطايا أسرار عفو الله .

وإن قال من ذهب إلى أنها لا تصح . إن أردت به أن التوبة عبارة عن ستم ، وإما يندم على السرقة مثلاً لكونه معصية ، لا يكف سرقة . ويحس أن يندم عليها دون الرضا إن كان توجهه لأجل المعصية ، فإن الله شانه ضار ، إذ من يتوجه عن قتل ولده بالسيف يتوجه على قتله بالسكين ، لأن توجهه بقولت محبوه سواء كان بالسيف أو بالسكين ، فكذلك توجه العبد بهوات محبوه ، وحدث بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الرضا ، فكيف يتوجه على المعص دون البعض ، فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية معونة للمحسوب من العيث إنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض ، ولو جاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدينون الآخر ، فإذا استحال ذلك من حيث إن المعصية في الحسرين واحد ، وإما الدينان ضروري فكانت أعان المعاصي آلات للمعصية ، والمعصية من حيث محالة الأمر وحده ، فإذا مضي عدم صحة أن الله تعالى وعد المؤمنين رتبة ، وتنت الرتبة لا بأس ولا يثمة ، ولا يتصور ندم على بعض المعاصي فهو كالمسكيت مرتب على إيجاب والقبول فإنه إذا لم يتم لأحد والقبول يقول إن اعتد لا يصح ، لم يترك عنه التوبة وهو أنى منك . ولحق هذا أثره عند الترتيب ينقطع عنه عذاب

حائزكم ، وثمرة الندم تكفير مسبق مرتب السرقة يكفر السرقة ، بل ندم عليها . ولا يتصور ندم إلا سكب معصية واحدة . وهذا جميع المعاصي

وهو كلام مفهوم واقع ، يستطقت المصنف محصل به يكشف العطاء فنقول توبة عن بعض ذنوب لا حصر بها . يكون عن الكيالي دون الصعائر ، أو عن الصعائر دون الكيالي أو عن كل ذنوب كثيرة أو توبة عن الكيالي دون الصعائر ، ومن الممكن . لأنه يعلم . الكيالي أعظم عند الله ، وأجلب لسخط الله ومقته . والصعائر أقرب إلى سر في العفو عنها ولا يحسب أن يتوب عن الأعظم ويتدم عليه . كالتدب عن أمن بيت وحرمة . ويحس عن دابته فيكون خائفاً من الجناية على . مسحور محصيه عن الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتداد كد . بعد عن شانه وهذا ممكن وجوده في الشرع . فقد كثر التأنيب في الأمر حديه . وهو يمكن أحد هذه معصومات . تستدعي توبة معصية . وقد قد صدر مريض محصل تحسيراً شديداً ، وحده لسكر حديراً أحف منه . من وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلاً ، فيتوب المريض بقوله عن بعض ذنوب السكر . فهد غير محل وجوده وإن أكتفها جميعاً بحكم شانه . ندم على أكل بعض ذنوب السكر . إنى أن يتوب عن بعض الكيالي . بعض وبعد أيضاً ممكن لا عفاه أن بعض الكيالي أشد وأعنف عند الله . تدب يتوب عن القتل . والنهب ، والظلم ومضام العباد . لعنه أن ديون حده لا يترك ، وماسه وبين الله يتسارع العفو إليه . فهذا أيضاً ممكن ، كما في تدب الكيالي والصعائر لأن الكيالي أيضاً متعاقبة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبيها . ولذلك قد يتوب عن بعض الكيالي التي لا تتعلق بالعباد ، كما يتوب عن شرب الخمر دون الرضا مثلاً ، إذ يتصح له أن الخمر مفتاح الشرور ، وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري . فحسب ترجع شرب الخمر عنده ينشأ منه خوف ، يوجب ذلك تركاً في المستقبل وندماً على الماضي . الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صعائر ، وهو مصر على كبيرة يصم أنها كبيرة كالتوبة عن المعصية ، أو عن

شدة المحنة بترك في المستقبل وقد أصعب المجاهدة برول الشهادة ولكن ليس
 محالاً أن يجزي عدم محبت بقوى على محوها دون المجاهدة ولو لا هذا لفسد
 شهرة لا قبل ما لم يمشي للنائب بعد التوبة مرة ، يجاهد نفسه في حين تلك
 الشهادة مرات كثيرة . وذلك بما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلاً . ومن
 قلت : إذا فرغنا ثالثين ، أحدهم سكنت نفسه على الرجوع إلى الدنس ، والآخر
 بقي في نفسه نزوع إلى وهو يجاهد بها ويمنعها . فأيهما أفضل ؟

فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه . فقال أحد من أئمة الخواري وأصحاب
 أبي سبيد الأري : إن المجاهد أفضل ، لأن مع التوبة فصل الجهاد . وقد
 ساء نصرة ذلك لأحرر فصل لأنه لو لم يترك في نفسه كالأول إلى سلامه
 من العبد الذي هو في عرصه نحو عن عهده ومداقته ثم واحد من
 الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال حقيقته . حتى أنه أن الذي
 تنقلع بروح نفسه في حال

إحسانه . أن يكون منقطع بروحه إلى تصور في نفس شهوة مقصود ،
 وشهوة أفضل من هذا إذ تركه المجاهد قد دل على قوة نفسه ، واستيلاء
 فيه عن شهوته ، فهو ذلك قاصع على قوة النفس ، وعلى قوة الدين وأعلى
 قوته حتى قوة لإردده حتى تسبب بيشرة اليقين ، وتجميع الشهوة ببعده
 بيشرة الشيطان . فهذا هو ما لا يبعد عن عهده عليه قصور ولو لم يترك .
 هذا أسلم ، إذ لو لم لا يعود إلى نفسه ، فهذا صحيح ولكن يستعمل بعض
 لأفضل منه حصلاً وهو كقول بعض ، من أفضل من المحل ، لأنه في أمر من
 حطر الشهوة ونسى أفضل من إباح ، لأنه أسلم . وأفضل أفضل من أمث
 القاهر فقامع لأعدائه ، لأن المفسد لا عدو له ، وأمثك ركب يمت مره وإب
 علب مرات وهذا كلام راجح سمع عيب ، قصر بصر على عيوبه ، غير
 عالم بأن العر في الأخطار ، وأن العلو شرطه اقتحام الأغوار . بل هو كقول
 القتال : الصيد الذي ليس له قرين ولا كلب ، أفضل في ساعة الاصطياد
 وأعلى رتبة من صاحب الكلب والقرين . لأنه آمن من أن ينجح به فرسه ،

فكسر عهده عند سقوطه على الأرض . وأمن من أن يعصه الكلب
 ويعصه عليه . وهذا حصلاً بل صاحب . والكلب إذا كان قوياً غلب
 بصريقاً ذليلاً على ربه أخرى بترك سعادته

حينئذ لا بد أن يكون بطلان نزوع يرب قوة اليقين ، وصدق المجاهدة
 بعده إذ يبع منه مع فساد شهوة . أدبت بأدب سريع ، فلا ينجح
 إلا بالإشارة من الدين . وقد سكنت بغير سلاء الدين عيب فهدى على
 ربة من عهده مقدسي صاحب شهوة وقصر . وقول ثقل ليس أمث فص
 جهاد فقصور عن إباحته بمقصود جهده . جهاد ليس مقصود منه بل
 مقصود قمع ضرورة العدو ، حتى لا يفسد . إن شهوته ، وإن عجز عن
 استجراك فلا يترك من سلوكه حتى يفسد . بعد قهرته وحصلت المقصود ،
 بعد طغرت وما دامت في المجاهدة ، فأتى به . طلب القصر ومثله كمثل
 من قهر العدو واسرفه ، بالإضافة إلى من هو . يعون بجهاد في صف أصاب ،
 ولا يدرى كيف يسببه ومثله يقصده . عدم كلب صمد ووص
 بمرس ، فهذا بائس عهده بعد ترك كلب الصلابة وغيره حجاج ،
 بالإضافة إلى من هو مشغول بمقدسة الذمير عند وقدر في هذا فريق ،
 فصوا أن الجهاد هو المقصود لأقصى ، وهما بهما أن ذلك صلب لمخلص من
 عوائق الضيق ، وض آخرون أن قمع شهوة . وماضياً بالكيه مقصود حتى
 حرب بعضهم بنسبه فعجز عنه ، فقل هذا من فكذب بشرع ، وسب
 سبل لإباحه ، واستمرس في إباح الشهوات . وكل ذلك جيل وصلان وقد
 قرأنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربيع مبهكت . هذا قلت فما فوئ
 في ثالثين ، أحدهم سقى الدنس ولم يشبع . فكيف ، والآخر جمعه ذهب
 عنه ولا يزال يتفكر فيه ويعرق بسماً عليه . فأيهما أفضل ؟

أيهما أفضل ؟

فاعلم أن هذا أيضاً قد اختلفوا فيه . فقرر بعضهم : حقيقة التوبة أن تصب

ترك التفاحه وبرل إلى كته^(١٣١). بل الذي يعنه شدة أو طائرا بصوت به
رعاء^(١٣٢) أو صمرا تشبها بالهيمه والصائر تصدق في معيظه. ههنا أن بعض
عن أمثال هذه المقائل، فإنها مرلة أقدام العارفين فعلا عن العافين، نأى الله
حسن التوفيق بلفظه وكرمه.



المثل الرابع أقسام العباد في دوام التوبة

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات

توبة ذى النفس المطمئنة

الطبقة الأولى أن يتوب مدعى وبه. من توبه إلى آخر عمره
في رتبه مرتبة من التوبة لا يتركها. هو من توبه إلى التوبة
التي لا يمتد بشرعها في توبته. هو من توبه إلى رتبه توبة في توبته هو
الاستقامة على التوبة وصاحبه هو التوبه. حيرت من توبته توبته
حسرات. وتسم هذه التوبة توبة صبور. سم هذه النفس الساكنة نفس
مستقيمة، التي ترجع إلى ربها رغبة مرضية. هؤلاء هم الذين لا يمتد
بقوله عز وجل^(١٣٣) «سَيُؤْتِي الْمُتَّقُونَ الصَّالِحِينَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَصَحَّ الذِّكْرُ
عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ فَنَزَّلُوا الْقِيَامَةَ خِطَابًا» فإن به إشارة إلى أنهم كانوا تحت
أوزار وصعها الذكر عنهم.

وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث يسرع إلى الشهوات، فمن تائب
سكت شهواته تحت قبح العرقه، فمتر برعها، ولم يشعه عن السوء
صرعها، ومن لا يمتد من صراحة النفس. كنه من توبه عنها وردد.

(١٣١) الكنه التي تفل تسان وتحمه، حمر عن مدحه ونباه.
(١٣٢) الرعاء: صوت الجور، والنعام والصبح ونصف الرعد، وبكاء الصبي التلهي، والمصود
الغنى.

(١٣٣) موطئ صبر والفارح إلى رب
(١٣٤) حليلت صبر المتقون مستبداً به ذكر الله - أحمد - من حليلت في التوبة - حسنة
وقد تقدم

اخلاقه ، وأمره في مشيئة الله . فإن عظم له بالسوء على شقوة لا آخر لها ، وإن عظم له بالخير حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين . ولا يستحيل أن يشمه عموم المنور بسبب عظمه لا ينفع عليه ، كما لا يستحيل أن يدخل الإنسان خراباً ليجد كثيراً فيفتن أن يحده ، وإن يحبس في البيت ليحمله الله علماً بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صوات الله عليهم . فطلب للمعرفة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار ، وطلب المال بالتجارة وركوب البحار . وطلبها بمجرد لو جاء مع خراب الأعمال ، كطلب الكسوف في المواضع الخربة ، وطلب العلوم من تعليم الملائكة . ولت من الجهد تعلم ، ولت من البحر استقى ، ولت من صام وصل عمر له . قالنار كنهم محرومون إلا العالمون ، والعالمون كلهم محرومون إلا العاقلون ، والعاقلون كلهم محرومون على حطر عظيم .

وكما أن من خرب بيته وصبيح ماله ، وترك نفسه وعياله جوعاً ، يزعم أنه ينتظر فصل الله بأن يرزقه كثيراً يحده تحت الأرض في بيته الخرب ، بعد جند قوى المصائر من الحقيق والمرورين ، وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قنوة الله تعالى وفصله ، فكذلك من ينتظر المعفرة من فصل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة ، مقصر على الدنوب ، غير سالك سبيل المعفرة ، بعد حد أبواب القنوب من المعفو .

والعجب من عظم هذه المعفرة ، وبروحه حمده في صيغة حسنة ، إذ يقول : إن الله كريم ، وجهته ليست نصيب على مثل ، ومعصيتي ليست نصرة . ثم تراه يركب البحار ، ويفتحم الأوعار في طلب الديار ، وإذا قيل له إن الله كريم ، ودنانير خرائته ليست تقصر عن فترك وكسالك بترك التجارة ليس بضررك ، فأجلس في بيتك فعماء يرزقك من حيث لا تحسب يستحق قاتل هذا الكلام ويستمر به ، ويقول : ما هذا الموم ؟ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، وإنما ينال ذلك بالكسب ، هكذا قلرة مسبب الأسباب ، وأخرى به منته ، ولا تنبل لسة الله . ولا يعلم المعرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن

منه لا تدب عا فيها حرمها . وقبح قد أحجم بقدره ﴿ وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَقَى ﴾^١ فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس منسى الكريم المتور عن كسب المال ، ومقتضاه الفتور عن لعب منسى المتعب وسعي مداوم ، وأن من يحكم الكره يعصب عن غير جهد في الآخرة ، وقد يبعد مع شدة الاجتهاد في عالم الأمر في الدنيا ويسى فيه تعالى ﴿ رُمِيَ السَّيِّئُ وَرَزَقْنَاهُ وَوَعَدُونَا ﴾^٢

فعود بالله من عصى وإعصا . فما هو إلا انكاس على أم الرأس . وإعصا في صلات حبل . وصاحب هذا السير بأن يكون دحلاً تحت قنوة تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُخْرِفُونَ تَأْتَمَرُوا لَبَسَهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾^٣ أي أبصرنا أنك صدقت إذ قلت ﴿ وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَقَى ﴾^٤ فارحما سعى . وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ، ويتق عيه المناب : فعود الله من دواعي الجهل والشك والارتباب السائق بالضرورة إلى سوء الخلق والمآب .



(١٢٥) سورة ٣٩

(١٢٦) سورة ٣٩

(١٢٧) سورة ٣٩

ثمرۃ التوبۃ

والمقصود أن التوبة ثمرتين إحداهما تكفير سيئات، حتى يقصر كمال
لادبها، والسيئة من الدرجات، حتى يقصر حساب التكفير أيضاً
درجات معصيته نحو لأصل مدب بالثبكية. ومعهه حصف له ويشتد
ذلك بقاوت درجات التوبة. فالاستعفار بالقلب، والتشارك بالحسابات، وإن
مخالفاً على حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات؛ فليس يغلو على العائد
أصلاً فلا يسعى أن ينظر أن وجودها كعدمها بل عرف أهل المشاهدة
وأرباب السوء معرفة لأربابها، أن موبقته يعنى بعض يفضل مثقال
ذرة خيراً من كثرة السيئات، وأما قوله لا خير ذرة من خير عن غيره، كما لا خير
شجرة تطرح في الميزان عن أثر ولو خلعت الشجرة لأثر عن آخر، لذلك
الثابت منها، ولكن لا يرجح الميزان بأعمال الدرجات، وذلك بالضرورة محال.
بل موقوف الحساب يرجح بذرات الخير إلى أن يشغل مرفوع كفة لسيئات، فبذلك
أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها، وذرات المعاصي فلا تسعيا كالمره
الخرقاء، تكسل عن العمل تعللاً بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط، أحد
وتقول: أي غنى يحصل بخير، وما وقع ذلك في الثياب ولا تدرى المعنوية
أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطاً خيطاً، وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره
اجتمعت ذرة ذرة.

بإدخال النضر والاعتناء بالقلب حسنة لا تصح عند الله أصلاً : بل أقول
الاعتناء باللسان أيضاً حسنة . إذ حركة اللسان بها عن علة خير من حركة
اللسان في تلك الساعة يعينة مسلم ، أو فصول كلام . بل هو خير من
السكوت عنه . فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه . وإنما يكون نقصاناً
بالإضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشبيهه أبي عثمان المعري : إن

١٠٠٠

نَسَّأَلِي فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ يَهْرِي بِالذِّكْرِ وَالْقُرْآنِ ، مَسَى عَامِلٌ ، فَقَالَ : اشْكُرْ اللَّهَ إِذَا اسْتَعْمَلَ جَارِحَةً مِنْ جَوَارِحِكَ فِي الْخَيْرِ ، وَنَهَى عَنْ الدِّكْرِ ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلْهُ فِي الشَّرِّ وَلَمْ يَعُودْهُ الْمَضُولُ . وَمَا ذَكَرَهُ حَقٌّ . فَمِنْ عَوْدِ الْجَوَارِحِ لِلْخَيْرَاتِ حَتَّى يَصِيرَ نَحْوَ ذَلِكَ كَالطَّيْعِ ، يَدْفَعُ جَمَلَةً مِنَ الْمَعَاصِي . فَمَنْ تَعَوَّدَ لِسَانَهُ لَاسْتِعْمَارِ إِذَا سَمِعَ مِنْ غَيْرِهِ كَذِبًا مَبِيقَ لِسَانِهِ إِلَى مَا تَوَعَّدَ عَدْلًا : اسْتَعْمَرَ اللَّهَ . وَمَنْ تَعَوَّدَ الْفُضُولَ ، سَبَقَ لِسَانُهُ إِلَى قَوْلٍ : مَا أَحَقَّقْتُكَ ، مَا أَقْبَحَ كَذِبُكَ ! وَمَنْ تَعَوَّدَ الِاسْتِعَاذَةَ إِذَا حَدَّثَ بِظُهُورِ سَادَى الشَّرِّ مِنْ تَنْبِيهِ ، قَدْ يَحْكُمُ سَبَقَ النَّاسِ بِعَوْدِ بَنِيهِ . وَدَ تَعَوَّدَ الْفُضُولَ وَنَ : لَعَنَ اللَّهُ فِيمَعْصَى فِي إِحْدَى الْكُتُبَيْنِ وَيَسْهُو فِي الْأُخْرَى وَسَلَامَهُ أَنْ عِيدَ لِسَانُهُ حَرَمٌ وَهُوَ مِنْ جَمْعَةِ مَعْنَى قَوْلِهِ عَدَلٌ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصِيعُ أَخْرَ الْمُتَخَسِرِينَ ﴾ . مَعْنَى فَوَيْتُهُ تَعْنِي ﴿ رَبِّهِ تَكُ حِجَّةٌ يَصْعَقُهَا وَيُزَيِّتُ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . وَنَصَرَ كَيْفَ صَدَّقَهُ إِذَا حَسَنَ الِاسْتِعْمَالُ فِي الْعَقِيَّةِ عَادَةُ النَّاسِ حَتَّى دَفَعَ بِتِلْكَ الْعَادَةِ شَرَّ الْعَصِيَانِ بِالْعَبِيَّةِ وَاللَّعْنِ وَالْفُضُولِ ، هَذَا تَضْعِيفٌ فِي الدِّينِ لِأَدْنَى الطَّاعَاتِ . وَتَضْعِيفُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ .

وبعد وأن تمسح في الصاعات مجرد الآمات . تتمتع وغيتك من لعيادات ،
من هذه مكيدة روجها ليضاد بلبس عن امحريرين ، وحسن إيجهم لهم ربيب
البصائر ، وأهلي التفطن للخفايا والسرائر . فأى خير في ذكرنا بالناس مع عدله
القلب . فانقسم الخلق في هذه للمكيدة إلى ثلاثة أقسام : ظالم لنفسه ،
ومقتصد ، وسابق بالخيرات .

أما السابق : فقد صدقت يا مفسون ، ولكن هي كلمة حتى أردت بها
باصلاً . فلا حرم أعديك مرتين ، وأرغم أمك من وجهين ، بأصيف إلى حركة
للسلك حركة القلب فكان كالذي دأوى جرح الشيطان بنهر المسح عليه .

[illegible]

2. $\frac{1}{2} \ln(1 + \frac{1}{2})$

وأما الظالم المعرور، فاستشعر في نفسه عيلاء العظمة لهذه الدقة، ثم عجز عن الإخلاص بالقلب، فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر، فأسعف الشيطان، وتدلى بحبل غروره، فثبت بينهما المشاركة والموافقة. كما قيل: واقع شين طقه، وافقه فاعتقه.

وأما المقتصد، فلم يقصر على إرعامه بإشراك القلب في العمل، وتعطى نقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب. ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والعضول، فاستمر عليه، وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير.

مكان السابق كالحائك الذي دمت حياكته فتركها وأصبح كاتباً. والظالم المختلف كالذي ترك الحياكة أصلاً وأصبح كاساً. والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال: لا أنكر مذمة الحياكة، ولكن الحائك ممنوم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكاس. فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة ولذلك قالت رابعة العنوبة استعمارنا يحتاج إلى استعمار كثير فلا تنظر أبداً تدم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله، بل تدم عملة القلب فهو محاج إلى الاستعمار من عملة قلبه لا من حركة لسانه. فلا مكنت عن الاستعمار باللسان أيضاً. احتاج إلى استغفارين لا إلى استعمار واحد.

فبيكنا يسعى أن تمهم دم ما يدم، وحمد ما يحمد، وإلا جيلت معنى ما قال القتال. الصادق: حسنات الأبرار سيئات المقربين. فإن هذه أمور تمت بالإضافة، فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة. بل يسعى أن لا تسحق درات الطاعات والمعاصي. ولذلك قال جعفر الصادق: إن الله تعالى غنياً ثلاثاً في ثلاث: رضاه في طاعته، فلا تحقروا منها شيئاً، فقلل رضاه فيه. وغضبه في معاصيه، فلا تحقروا منها شيئاً، فقلل غضبه فيه. وحباً وولايته في عبادته، فلا تحقروا منهم أحداً، فقلل الله تعالى. وزاد غنياً إجابته في دعائه، فلا تركوا الدعاء، فربما كانت الإجابة فيه.

الركن الرابع

في دواء التوبة، وطريق العلاج
لحل عقدة الإصرار

- تهديد
- طلب العلماء أول علاج العاصي وهو الركن الأول.
- الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار.
- الركن الثاني في العلاج: الصبر
- أسباب الوقوع في الذنوب.
- علاج الأسباب الموجبة للإصرار



تقديم

اعلم أن الناس قسمان :

القسم الأول : شاب لا صورة له ، مثلاً عن حذر واجب شر ، وهو الذي قد فيه رسول الله ﷺ ، فعجب من من شاب ليست له صورة ، وعد غير مدبر

والقسم الذي هو الذي لا حذر عن مقارفة ، يفتنه بنفسه ، من مضربين ومن ثلثين ، وعرض أن بين العلاج في حق عقده لإصرار ، وسكر الدواء فيه

فاعلم أن شعاع التوبة لا يعمل إلا بالدواء ، ولا يقف على الدواء من لا يقف على الدواء إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فإزالة حل ذلك السبب ، ورفع ، وإبطاله ، ولا يظل الشيء إلا بصله ، ولا سبب لإصرار إلا العفة والشهوة ، ولا يصاد عنه إلا العزم ، ولا يصاد شهوة إلا صبر عن فتح لأسباب حركته شهوة ، وعفة رأس خطاب من تعالى ﷻ وأولئك هم المفلحون لا جرم أنهم في الآخرة هم المفسرون ﷻ فلا دواء إذ لشهوة إلا محض من حلاوة العفة ، ومرارة الصبر ، وكما يجمع السكتنجين ﷻ بين حلاوة السكر وحموضة الحن ، ويقصد بكل مهما عرض آخر في العلاج تحصيلهما ، ويقمع الأسباب

(١٦٤) حديث يعجب ربك من الشاب ليست له صورة : أي والعجزان من حيث عفة من علم وفيه

هـ ليست له صورة : أي ميل إلى هوى
(١٦٥) النحل : ١٠٨ - ١٠٩

(١٠٩) عبط من العسل وحن

المهجة للصبراء . فهكذا يعني أن تفهم علاج الغيب ثم به من مقرر
الإصلاح .

قوله: "وَأَمَّا الْفُلُ فَأُرْسِلَتْ بِرَبِّهِمْ ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ" (وَأَمَّا الْفُلُ فَأُرْسِلَتْ بِرَبِّهِمْ ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ) (سورة هود: 41).
 قوله: "وَأَمَّا الْفُلُ فَأُرْسِلَتْ بِرَبِّهِمْ ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ" (وَأَمَّا الْفُلُ فَأُرْسِلَتْ بِرَبِّهِمْ ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ) (سورة هود: 41).



الفصل الأول

طلب العلماء

أول علاج العاصين والأصل الأول

فإن قلت اجمع كل علم على الإصرار أم لا تدرك علم مخصوص ؟ فاعلم أن العلوم بمجملها أدوية لأعراض الفروب . ولكن متى مرض علم بنفسه . كما أن علم خاص يقع في علاج أمراض بعينه . يمكن شخصي كل عدة علم مخصوص فكذلك أدوية الأمراض بعينه . فثبت العلم على مدار مرضه لأن العلم يكون فروب . فثبت العلم

الإيمان بأصل الشرع

١٠٠٠

الأول . أن يصدق على حصة بل بالعرض وخصه مسأله بقول .
بلا حيار ، على رتبته مسبب الأمتاب ، وهذا هو لإيمان بأصل نصب .
من لا يؤمن به لا يعمل بالحق ، ويحق عليه ذلك وهذا ورائه مما يحق فيه ،
إيمان بأصل شرح وهو أن سعادة في آخره سبباً هو الطاعة ، ولشعوة
من هو انعكسه وهذا هو لإيمان . نحن نشرح وهذا لا بد من حصوله إما
عن حسن أو عيب أو كمال من جهة ثلاث .

الذي أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب . حدق به ، صادق فيما يعبر عنه ، لا يلتبس ولا يكذب . فإن إتيانه بأصل الطب يسمعه بمجرد دون هذا الإيمان . وورثته من حقه ، بعد صدق الرسول ﷺ ، والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق ، لا كذب فيه ، لا حيف

الإصغاء إلى وعد الله وتحذيره

الثالث : أنه لا بد أن يصغى إلى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والأسباب المصرة على اجملته ، حتى يعذب عليه الخوف في ترك الإحتتام فتكون سدة الخوف باعثة له على الإحتواء ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الفوى ، والتصديق بجميع ما يقضى إلى صحة من ذلك ، من غير شك واستراية^(١٦٧) ، حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر ، الذي هو الركن الآخر في العلاج .

طلب العلم ونشره

الرابع : أن يصغى إلى الطبيب فيما يخص مرضه ، وفيما يترمه في نفسه الإحتواء عنه ، ليعرفه أو لا تفصيل ما يضره من أحواله وأحواله ، وما كونه ومشروبه . فيس على كل مريض الإحتواء عن كل شيء ، ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص ، وعلاج خاص ، ووزانه من الدين أن كل عبد قيس يمثل بكل شهوة ، وارتكاب كل ذنب ، بل لكل مؤمن ذنب

(١٦٧) الأسرته الوجع في ربه

مخصص ، أن ديون مخصوصة . من حاجته : من مرضه من نفسه . ثوب ، ثم إلى الله بوجه واحد ، ثم إلى علم كيفية لوصول إلى الصبر عنه ، ثم إلى الله بكتفه أكثر ما صبر بها ، فهذه علوم يختص بها الصبر . وهذه العلة التي هي له ، لأنه لا يملك أن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من نفسه ، وهذه العلة . ومن لا يلقى أن ما يرتكبه ذنب ، فعلى من لا يعرف ذلك . وذلك بأن يحسن كل عام بإقليم أو بلدة ، أو حفلة ، أو مسجد ، أو مشهد فيعلم أنه من ، ويغير ما يضرهم عما يعصمهم ، وما يشقيهم عما يصحهم . ولا يصح أن يصير إلى أن يسأل عنه . بل يصح أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه . بهم ورثة الأنبياء ، والأنبياء ما تركوا الناس على حيلهم ، بل أخرجهم من جمعهم ، ويدعون على أبواب دورهم في الآخرة . ويعلمون واحد واحد في شربهم ، فإن قرصي القلوب لا يعرفون مرضهم . كما أن الذي ضل على وجهه برص ولا مرآة معه ، لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره . وهذا قرص عين عن العلماء كافة^(١٦٨)

وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل حمة فقياً متديناً ، يعلم الناس دينهم فيما احسن لا يبدلون ولا يحدثوا . فلا من يبيع الدعوة بهم في الأصل والفرع . والدنيا دار مرضى . ولا يسكن في بطن الأرض ولا ميت ، ولا على ظهرها إلا مستقر . ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان . ومرض الأطباء ، والسلاطين قوام دار المرضي . فكل من مرض من بقل العلاج بمدوة معه ، يسم إلى السبب ليكب شره ، كما سمى الصيب فريض الذي لا يحتمى ، أو الذي غلب عليه الجنون ، أو القصد لينقه سلاسل والأعلال ، ويعكف شره عن نفسه وعن سائر الناس .

أكثرية مرض القلوب على مرض الأبدان

وإن صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان ثلاث جلال :

(١٦٨) إذا قام به واحد منهم لا يسمع عن الآخر

إحدهما : أن المريض به لا يدري أنه مريض .

والثانية : أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم . بخلاف مرض البدن ، فإن عاقبته موت مشاهد ، تمر الطباع منه . وما بعد الموت غير مشاهد . وعاقبة الدنوب موت القلب ، وهو غير مشاهد في هذا العالم . فثبت أن الشكر عن الدنوب وإن علمها مرتكبها ، فذلك تراه يتكلم على نصر الله في مرض القلب ، ويجب في علاج مرض البدن من غير تكلم .

والثالثة : وهو الداء المعصالي فقد الطيب . فإن الأطباء هم لعلماء ، وقد مرضوا في هذه الأعصار^(١٦٩) مرضاً شديداً عجزوا عن علاجه ، وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا يظهر نقصانهم فاصطبروا إلى إغواء الخلق ، وإشراكه عليهم ما يريدونهم مرضاً . لأن الداء المحدث هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأصحاء ، فله يقدره على حدير الحق منه ، يستكبر من أن يقبل منه . فله بالكم بأمرهم بالعلاج وسبب تفكيركم ؟ فهذا السبب عم على خلق الله وعظمه النبوة ، ونقض النبوة ، وهت الحق لنقد الأصحاء بل اشترى الأصحاء بغير الإغواء ، فنتج بهم يصححون يعيشوا ، وإن لم يصلحوا لم يفسدوا . ولتتبع سكتوا وما نطقوا ، فبه إن تكلموا لم يسمعهم في مواعظهم إلا ما يزعج القوم ، ويستعمل قلوبهم . ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء ، وتغليب أسباب الرجاء ، وذكر دلائل الرحمة ، لأن ذلك ألد في الأسجاع ، وأخف على الطباع . فتصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد حرة على بعضي ، ومريد ثقة بعض الله . ومهما كان الطبيب جاهلاً أو جاهلاً ، أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه ، فالرجاء والخوف دواءان ، ولكن لشخصين متضادين العنة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكفة ، وكلف نفسه ما لا تطيق ، وضيق العيش على نفسه بالكفة ، فكسر سورة إسراره في الخوف بذكر أسباب الرجاء ، ليعود إلى الاعتدال .

(١٦٩) جمع غمر ، وهو الزمن .

وكنت نصرت على الدنوب ، نشئت نبوة ، تمتع بها بحكم المعيط وأنس سعادتها بدونه إلى مستأ ، يفتح أيدى بأسباب الرجاء ، حتى يصح في قلوب شوه فيتوب .
فإن معجزة مرور مسرسل في بعضي بذلك أسباب رجاء ، فتأتي معالجة المرور بالعسل طبعاً غشمة . ودلت من ذلك بحبيب ولأعضاء . وقد نصاد الأطباء هي المعصلة الرباء^(١٧٠) التي لا تقبل الدنوب أصلاً .

طريق الوعظ

فإن كنت وذكر الطريق الذي يسمى أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الحق . فعدم أن ذلك يصور ولا يمكن سقطة .
بعم تشير إلى الأنواع الدفعة في حل عقلة الإصرار ، وهي داس عن مرث الدنوب . وهي أربعة أنواع .



(١٧٠) من الدواهي بشددة ، كما في القاموس .

ذكر حكايات ذنوب الأنبياء والأولياء

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين ، وما جرى عليهم من أفعال بسبب ذنوبهم ، حدثت شديد الوقع ظاهر البقع في قلوب الخلق

مثل أحوال آدم عليه السلام في عصائه ، وما لقى من الإخراج من الجنة ، حتى روى أنه لما أكل من الشجرة صيرت له من عظمته عورة ، فسحب - ح - ولإكليل من وجهه - ب - برقع عنه ، فحده جبريل عليه السلام ، فحده التاج عن رأسه ، وحل الإكليل عن جبينه - ج - ويؤدى من فوق عرش لعنات من جوارى فإنه لا يحاورنى من عصائى . قال فتمت آدم إلى حواء بالأكية وقال : هذا أول شؤم العصية ، أخرجنا من جوار الحبيب .

وروى أن سليمان بن داود عليه السلام ، لما عوقب على حصيته لأجل احتمال الذى عهد فى داره أربعين يوماً ، وقيل لأن المرأة سأله أن يحكم لأبيها قال نعم ولم يفعل . وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه فكانت منه ، فسلب منك أربعين يوماً ، فهرب تائها على وجهه . فكان يسأل بكفه فلا يظلم . فإذا قال أظعموق قاتل سليمان بن داود شج ، وطرده ، وضرب ، وحكى أنه استطعم من بيت لامرأته فطرده وبصقت فى وجهه . ول روية أخرجت عجز حرة فيها بون قصته عن رأسه ، إلى أن أخرج الله الخاتم من بطن الخوت ، فبسه بعد انقضاء الأربعين . أيام العقوبة . قد فجاءت لغيره فكنت عن رأسه ، وحدهت الحن ونسبتيين والوحوش فاجتمعت حوله . فاعتبر إليه بعض من كان حنى عليه . فقول لا أؤمكم فيه فمعت من قل ، ولا أحدكم فى علمكم الآن . إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه .

(١٧٧) حلق جمع حنة ، وهى الملابس التى يخل بها الإنسان ويستر .

وروى فى الأعرابيات أن رجلاً تروخ امرأته من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحتمها به . فمروته معه وحالته بها ، فحدهده واستعصه . قل لله الله بركة تقواه ، فكان بينا فى بني إسرائيل . وفى بعض موسى عليه السلام ، أنه قال للحصير عليه السلام . بم أطعك الله على غم العيب ؟ هل ترك لنعصى لأحد لله تعالى

و روى أن الشيخ كاتب سير بنيان عبد السلام ، حدث عن قبيصة نظرة . وكان حديثاً ، فكأنه سمعه . قل فدمعه الرشح . فقال لم يعبه . وه أمرت ؟ فت : إني بطيعة إذا أطعت الله

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عبد السلام ، أتدري ما فرقت بين وبين يوسف ؟ قل لا . قال فقولك إخوته أحف أن يأكبه الذئب وأنهم عنه غافلون لم خفت عليه الذئب ولم تتركه . ومن طوت عن عفة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له ؟ أو تدري لم رددته حيث ؟ قال : لا . قال : لأنك رجوتنى وقت : ﴿ عسى الله أن يأتيك بهم جميعاً ﴾ (١٧٨) وبما قلت : ﴿ اذهبوا فتحسروا من يوسف وأخيه ولا تسأوا ﴾ (١٧٩) وكذلك لما قال يوسف لصاحب سب : ﴿ اذكرنى عند ربك ﴾ (١٨٠) قال الله تعالى : ﴿ فأنسا الشيطان فذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين ﴾ (١٨١) . وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر . ولم يرد بها الترتيب والأخبار ورود الأسرار ، بل الغرض منها الاعتبار والاستنباط ، فليعلم أن الأفعال عليهم السلام لم يتجاوز عنهم فى الذنوب الصغيرة ، فكيف يتجاوز عن عورهم فى الذنوب الكبرى ! نعم كانت سعدتهم فى أن عوجوا بالمعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء يجهلون ليردادوا ثمناً ، ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فلهذا أيضاً مما ينبغي أن يذكر حسنة على أسماع المصرين ، فإنه نافع فى تحريث دواعى التوبة .

(١٧٨) يوسف ٨٣

(١٨٠) يوسف ٤٢

(١٧٩) يوسف ٨٧

(١٨١) يوسف ٤٢

ذكر تعجيل عقوبة الذنوب في الدنيا

النوع الثالث : أن يقرر عندهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جنائته . فرب عبد يسهل في أمر الآخرة ، ويعرف من عقوبة الله في الدنيا أكثراً لفرط جهله ، فيسعى أن يخوف به . فإن الذنوب كلها تنعش في الدنيا شؤمها في غالب الأمر . كما حكى في قصي داود وسليمان عليهما السلام . حتى أن قد يفتق على العبد ورقة بسبب ذنوبه . وقد تسقط مكرته من القنوب ويستولى عليه أنه ^(١٨٢) قال عليه السلام : **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَحْتَرِمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ وَيُؤْذِيهِ** . وقد أمر مسمود بن لأحس أن تعد يميني نعم بسبب بغيه وهو معنى قوله عب السلام ^(١٨٣) : **مَنْ قَارَفَ دُنْيَاً قَارَفَهُ عَقْلٌ لَا يَمُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا** . وقد بعصر السلف : ليست اللعة موداً في الوجه ، ونقصاً في المال ، إنما اللعة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه ، وهو كما قال . لأن اللعة هي الطرد والإبعاد . فإذا لم يوفق للخير ، ويفقر له الشر فقد أبعد . والحرامان عن رزق التوفيق أعظم حرمان . وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف ، فيحرم العبد به عن رزقه الدافع من مجالسة العناء المتكررين للذنوب ، ومن مجالسة الصالحين . بل يمتنع الله تعالى ليمتته الصالحون . وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعاً ثيابه ، محترراً زلقة رجله ، حتى زلقت رجله وسقط . فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويكي ويقول : هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويجانيها ، حتى يقع في ذنب ودين ، فعندما يخوض في الذنوب خوضاً . وهو إشارة إلى أن الذنب تعجل عقوبته فلا يجزأ إلى ذنب آخر . ولذلك قال الفضيل : **مَا أَنْكَرْتَ مِنْ تَغْيِيرِ الرِّمَانِ وَجَعَاءِ الْإِخْوَانِ** ،

(١٨٢) حديث إن العبد ليحرم الرزق بالذنب بغيه . ابن ماجه وإسحاق وصححه إسناده واللفظ له إلا أنه قال الرجل يذل العبد من حديث توبان .

(١٨٣) حديث من قارف دنياً قارفه عقل لا يمود إليه أبداً : تقدم

مديون ورثك ذلك . وقد حثهم : **إِلَى أَنْ يَكُونَ عَقُوبَةُ ذُنُوبِهِ فِي سَوَاءٍ خَلْقٍ** . وقد أخرج أنوف العقوبة حتى في قر يبي . وقال بعض صوفية الشافعي . بصوت إلى غلاء بصري حسن لوجد . فوكت أنصر إليه ، فعزى ابن الحارث بن مشفى ، وأحد سائر فمستحييت . فقلت يا أبا عبد الله ، سبحانه الله تعجب من هذه صورة حسنة ، وهذه صفة شحمة ، كيف جعلت من غير يدى وقد جعلت عقوبة من حين قد فوكت به بعد ثلاثين سنة . وقد يؤميد . صوفى . عطاء عقوبة . وقد لا يفتت أحد صلاة حصة إلا يدب بسببه . وقد حث . **مَا أَنْكَرْتُمْ مِنْ زَمَانِكُمْ لِمَا غَيَّرْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ** . وفي حديث آخر . **يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ أَقْنَى مَا أَصْنَعُ بِالْعَبْدِ إِذَا أَثَرُ شَيْئِهِ عَلَى صَعْيٍ أَنْ أُخْرِجَهُ مِنْ يَدِي فَحَتَّى** .

وحكى عن ابن سيرين . في قوله . **يَقُولُ دَكْرُهُ** . قد فيها كتب فلتا دت يوم آخر ، فحصر قسى هوى صوته بفكره ، حتى لويد منه شهوة الرجل . فوكت إلى الأرض ، وسود حسدى كنه ، فسترت في بيت ، فم أخرج ثلاثة أيام . فوكت أعرج عسبه في حناء ، فاصول ، فلا يردد إلا سود ، حتى يكسب بعد ثلاث منيت الحد ، وكان قد وحا إلى فمحتصى من رقة . فمكتته قد لي . م مسح من شة تعس . فكت فمكت بين يديه ، فوكت عشت شهوة حتى استوت عشت برفه وأخرجت من بين يدي الله تعالى ؟ فولا فمكت دعوت قد لك ، وثبت إليه عك ، فمكت الله يذمت الملون . فم فمكت كيف فمكت بذلك وهو بعداد وأما بالرفقة . وعم أنه لا يدب بعد . أ إلا ويسود وجه قلبه . فإن كان مبعيناً أظهر السواد على ظهره لب حر . وإلا كان شقياً أعجب عنه حتى يهتد ويسترجع

(١٨٤) حديث ما فكرت من مأكلك فمكت من أكلك : البيهقي في الرهد من حديث أبي النضر وأما غريبه فمكت به عك المعنى وهو عك . فمكت هو منهم بالكذب قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أحاديث يوافي .

(١٨٥) حديث يقول الله إن قدر ما أصنع بالعبد إذا أثر شهوده على طاعته أن أحرمه لذة مناجاة : قريب لم أجده

سر . وأحذر كثرة في آفات تدور في قلب ، من الفقر ، والمرض وعجزه . بل من شؤم تدب في قلب عن احبة أن يكتسب ما بعده صفة . فإن بلى شيء كان عقوبة له ، ويخرجه حين الموت ، حتى يصاعف شقوه . وقد أصابه نعمة كانت اسراراً له ، وجره حين شكر حتى يعاقب على كبره . ثم مضى ، فمن بركة صدقه أن يكون كل نعمة في حقه حراً على صاعبه ، ويؤثر شكره . وكل منه كدرة لذيته ، زيادة في روحه .

ذكر حدود الذنوب والنفوس في الوجوه

النوع الرابع : ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب ، كالخمر ، والربا ، والسرفه ، والقتل ، والعيه ، والكبر ، والجسد . وكل ذلك مما لا يمكن حصره . وذكره مع غير أهله وضع السوء في غير موضعه . بل يسمى أن يكون العالم كالطبيب الخادق ، فيستدل أولاً بالبعض ، والشيخة (١٨٦) ووجوده الحركات ، على معنى لصفة . ويشمل علاجها ، ليستدل بقرش الأحوال على عفاها الصفات ، وليعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله ﷺ (١٨٧) ، حيث قال له واحد : أوصني يا رسول الله ولا تكثر علي . قال : **لَا تَغْضَبْ** (١٨٨) وقال له آخر : أوصني يا رسول الله . فقال عليه السلام : **عَلَيْكَ بِالنَّاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ أَلْبَسُ وَأَتَمُّ وَالطَّمْعُ فَإِنَّهُ أَنْشَرُ النَّهْصِ وَصَلَّ صَلَاةَ مُؤَدَّعٍ وَإِيَّاكَ وَمَا يُغْتَرَبُ مِنْهُ** . وقال رجل لمحمد بن واسع : أوصني فقال : **أَوْصِيكَ أَنْ تَكُونَ مَلَكاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** . قال وكيف لي بذلك ؟ قال ارم ارمه في الدنيا . فكانه مَنِيَّةً توسم في السائل لأول محيل لعصب منه . وفي السائل آخر محيل الصنع في اساس وصول الأمل . وتحيل محمد بن واسع في السائل محيل الخرص على

(١٨٦) السعة . هيته واليون وهي متعذر . وصح لكونه .

(١٨٧) حديث قال رجل أوصني ولا تكثر علي قال لا تعصب بضم

(١٨٨) حديث قال له آخر أوصني قال عيب . يث . الحديث . من دعه وقد قدمه

لدي . وقال رجل لمعاد أوصني . فقال : **كُنْ حَيّاً أَكْرَمَ مِنْ دُخَانِ رَعِي** . فكانه تفرس فيه أثر خصاصة ونحسة وقال رجل إبراهيم بن أدهم : أوصني . فقال : **إِنَّكَ وَالنَّاسُ ، وَبَيْنَهُمُ النَّاسُ ، لَا تَكُنْ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّ النَّاسَ هُمُ النَّاسُ ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ بِالنَّاسِ** . ذهب الحديث . وبقي الناس ، وما أراهم بالناس ، بل عموماً في ماء يابس . فكانه قد فيه آفة الخالطة . وأخير عما كان هو الغالب على حاله في وقته . وكان الله بأدائه بالناس . والتكلام على قدر حال السائل ، أولى من أن يكون بحسب حال القائل . وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها : **اَكْسِي لِي بِأَنْ تَوْصِيَنِي بِهِ وَلَا تَكْزُرِي** . فكسب إليه من عائشة إلى معاوية . من الله عيب . ما بعد ، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول : **« قَبِي النَّفْسِ رَحِمَا اللَّهُ يَسْخَطُ اللَّهُ النَّاسَ كَتَمَهُ اللَّهُ مَوْتَهُ النَّاسِ وَفِي النَّفْسِ يَسْخَطُ اللَّهُ بِرَحْمَةِ النَّاسِ وَكَتَمَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ »** . وسأله عن عيب ، فذكر إلى فقهاء كيف تعرضت لآفة حتى تكون آفة بصددها . وهي مراعاة الناس وطلب مرصاتهم . وكتب به مره أخرى أم بعد ، فائق الله . فأبى إذا اتفقت به كفاك الناس ، وقد كتب ليس لم يعواجت من الله شيت والسلام .

فإذاً على كل ناصح أن تكون عذابه مصروفاً إلى تفرس الصفات الخفية ، وتوسم الأحوال اللائقة ، ليكون اشتغاله بالمهم . فإن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بموعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضيق زمان .

وهو قس . فإن كان المواعظ يتكلم في جميع . أو سأل من لا يدري ما هو حبه أن يعصه ، فكيف يفعل . دعهم أن طريف في ذلك أن يعظه بما يشرك كافة الحق في الحاجة إليه بما عن العموم ، وبما عن الأكثر . وبما في عموم

(١٨٩) حديث عائشة من النبي صلى الله عليه وسلم كان الله يلهي الناس . الحديث . الترمذي والبيهقي . وفي نسخة الترمذي من لم يسم ،

[illegible]

وقال رجل عظيم بن محمد بن أبي حمزة: اجتهد في رما خالك بكفر
من يجتهد في رما يسهل .

وكتب أيضاً إلى بعض عماله : أما بعد ، فقد أمكنت القدرة من ضم
العباد ، فبدأت بضم أحد فذكر قدرة الله عليك ، وأعلم أن الله عز وجل
أخذ المظلمين من الظالمين والسلا.

فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ، ووعظ من لا يرى خصوص
واقفته . هذه للوعظ مثل الأعمى ، لا يشترك الكفة في الانتعاج بها . ولأخر
قد مثل هؤلاء الوعاظ بعضهم باب الأعمى ، وغشت المعاصي ، واستشرى
العسد ، وبنى الخلق وعمد بجرهوب ، وسعد ، ويسدون أذن ، ويكفون
ذكر ما ليس في سعة علمهم ، وينسبوا إلى غيرهم . فسقط عن قلوب
لعمامة وقارهم ، ولم يكن كلامهم صادراً من القلب ليصل إلى القلب .
ثم إن مصنف ، وسمع مكثف ، وكل واحد منهما مُدتر ومحبف . قد
كان طلب الطبيب أول علاج المرضى ، وطلب العلماء أول علاج المعاصين .
فهذا أحد أركان العلاج وأصوله



المعالي

الركن الثاني في العلاج الصبر

الأصل الثاني : الصبر ووجه أحسنه أن المريض إما يطول مرضه ،
أو يصبره ، وإما يتناول ذلك إما لعنته من مصرتة ، وإما لشده عليه شهده .
وهو سبب مما ذكرناه من علاج الصبر ، فبقي علاج شهده . وهو من
علاجها قد ذكره في كتاب رياضة الله .

وحاصله أن مريض إذا اشتد به داءه ، فله أن يكون مصر ، فصره أن
يشعر عظم صبره ، ثم يعيب ذلك من عيه فلا يصبره ، ثم يتسلى عنه
بشرب ماء في صبره ولا يكثر صبره . ثم يصبر بقدر الحروف على الأمد الذي
فيه في تركه . فلا بد من كل حال من مرارة الصبر . فكذلك يحتاج الشهوة
في معاصي كاشف مثلاً بد عنه الشهوة ، فصر لا يقدر على حجب عيه ،
ولا حجب عنه ، أو حجب جورحه في سعي وراء شهوة فيسعى أن يشعر
صبره فيه ، بأن يستقرى بحروف التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة
رسوله ﷺ . فبدأت بخوفه ليعاد من الأسباب المهيجة لشهوته . ومهيج
شهوة من خارج ، هو حصر المشتى ، انظر إليه ، وعلاجه اهرب ولعللة
ومن دخل دون نداء الأفعمة ، وعلاجه الجوع والصوم الدائم . وكل ذلك
لا يتم إلا بصبر ، ولا يصبر إلا عن خوف ، ولا يخاف إلا عن علم ، ولا يعلم
إلا عن بصيرة وافتكار ، أو عن سماع وتقيد . فأول الأمر حضور محاسن
لذكر ، ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل ، مصروف إلى
السماع ، ثم التمسك فيه تمام المسموع ويبحث من تمامه لا بحجة حووه وإذا قوى
الخوف تيسر بمعونته الصبر ، وانبعث للنواحي لطلب العلاج ، وتوفيق الله



الفصل الرابع

أسباب الوقوع في الذنوب

أحدها : أن يغفل العبد عن بعض حصصه ، ويغفل حسب مقتضى
بحرصه ، فيترك ما يجب عليه من بعض ما شره باحصر

الثاني : أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها فاجرة ، وهي في الحال
أحدة بعين واحدة وقد قوى ذلك واستعان بها بسبب لأعياد والإلف ، ومدة
ضيعة حرمته ، وسرعان من محارفة لاجل سبيل عن بعض ما حدث
قد تعالى . ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ أَمَحِلَّهِمْ وَيَذُكُّونَ الْآخِرَةَ ﴾ ١ . وقد عر
وحل . ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ ٢ . وقد عر عن شدة الأمر فوس
رسول الله ﷺ : « حُمِّتِ الْحَيَّةُ بِالْمُكَارِهِ وَحُمِّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »
وقوله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَقُّ النَّارِ فَقَدْ لَحِزَ بِلِ عَيْنِهِ السَّلَامُ .
أَذْهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا فَظَرَ إِلَيْهَا فَذَلَّ . وَعَزَّتْ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا
فَحُمِّتْ بِالشَّهَوَاتِ . ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا فَظَرَ . فَقَالَ : وَعَزَّتْ
لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَحِيهَا وَخَبِقَ الْحَيَّةُ . فَقَالَ لِحَبْرِي عَنْهُ
السَّلَامُ : أَذْهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا فَظَرَ . فَقَالَ : وَعَزَّتْ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا
دَخَلَهَا فَحُمِّتْ بِالْمُكَارِهِ ثُمَّ قَالَ : أَذْهَبَ فَانْظَرَ إِلَيْهَا فَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ :
وَعَزَّتْ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ . بِدَأْ كَوْنِ الشَّهْوَةِ مَرَهْنَةً فِي

(١٩٤) (١٩٤) (١٩٤)

(١٩٥) (١٩٥) (١٩٥)

(١٩٦) (١٩٦) (١٩٦)

(١٩٧) (١٩٧) (١٩٧)

وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وتيسره من وراء ذلك ، فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء ، واستشعر
الخوف فانتقى ، وانتظر الثواب ، وصلى بالحسنى ، فسيهر الله تعالى
اليسرى . وأما من يحل واستعنى ، وكذب بالحسنى ، فسيهر الله اليسرى ،
فلا يرضى عنه من شئ به من ملأ له مهاسن ويردى . وما عني الأبيء
إلا شرح طرق الهدى ، وإله الأخرة والأولى .

فإن قلت : فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان ، لأن ترك الذنب لا يمكن إلا
بغيره . وعنه لا يمكن إلا بمعرفة الخوف ، والخوف لا يكون إلا بالعلم ،
وعنه لا يحصل إلا بالتفكير بعصم من الذنوب والتفكير بعظم ضرر
الذنوب هم تصديق لله ورسوله وهو الإيمان ، فكيف من أصر على الذنب لم
يهر عليه إلا لأنه غير مؤمن ، فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان ، بل يكون
لضعف الإيمان . إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى ،
وسبب العقاب في الآخرة . ولكن سبب وقوع في الذنب أمور





الفصل الخامس

علاج الأسباب الموجبة للإصرار

الفكر الحقيقي دواء الوقوع في المعاصي

فإن قلت : فما علاج الأسباب الحسنة ؟ فأقول هو الفكر وذلك بأن يفرر على نفسه في السبب الأول ، وهو تأخر العقاب ، أن كل ما هو آت آت ، وأن غداً للناظرين قريب ، وأن الموت قرب إلى كل أحد من شركاء عمله ، فما يدريه لعل الساعة قريب . والتأخر إذ وقع صار ناجراً . ويذكر نفسه أنه أبدأ في دنياه بتعب في الحال لخوف أمر في الاستقبال . إذ يركب البحار ، ويقاسي الأسفار ، لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثلثي الحال . بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت ، وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه ، مع أن الموت ألد لحظة إذا لم يخفف ما بعده ، ومفارقة الدنيا لا بد منها . فكيف نسي وجوده في الدنيا إلى عدمه أولاً وأبداً ، فينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول فمي لم تقم معجزة على طبعه ، فيقول . كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندي ، دون قول نصراني يدعي لطلب لنفسه بلا معجزة على طبعه ، ولا يشهد له إلا عوام الخلق ؟ وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض ، وكل يوم في الآخرة بمقتدر خمسين ألف سنة من أيام الدنيا !

وبهذا التفكير بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه . ويكلف نفسه تركها ، ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام الصبر وهي أيام قلائل ، فكيف أقدر على ذلك أهد الآباد ! وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر ، فكيف أطيق ألم النار ! وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتغصنها واسترج صفوها

الحال ، وكون العقاب متأخر إلى المال ، مبيحاً ظاهراً في الاسترسال . مع حصول أصل الإيمان . فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه ، مكذباً بأصل الطب ، ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه . ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز ، فيبوء عليه الأثم المنتظر .

الثالث . أنه ما من مذهب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة ، وتكثير السيئات بالحسنات . وقد وعد بأن ذلك يجزئ . إلا أن طول الأمل غالب على الطباع ، فلا يزال يسوّف التوبة والتكفير . فمن حيث رجاءه التوفيق للتوبة ، ربما يقدم عليه مع الإيمان .

الرابع . أنه ما من مؤمن موقن ، إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن العفو عنها . فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالاً على فضل الله تعالى .

فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب ، مع بقاء أصل الإيمان . نعم قد يقدم الذنب بسبب خامس يقدح في أصل إيمانه ، وهو كونه شاكاً في صدق الرسل ، وهذا من الكفر . كالذي يحذر الطبيب عن تناول ما يضره في المرض . فإن كان الخضر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب ، فيكذبه أو يشك فيه ، فلا يبالى به . فهذا هو الكفر .



بكدرها . فكيف أصبر من نعم الآخرة ! وأما التسويف التوبة فيعاجله بالفكر في أن أكثر صباح أهل النار من التسويف ، لأن التسويف ينشئ الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر على الترك غداً كما لا يقدر عليه اليوم . فليت شعري هل عجز في الحال إلا لقلة الشهوة ؟ ولشهوة ليست تفارقه غداً بل تتضاعف ، إذ تتأكد بالاعتیاد . فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالمادة كالتي لم يؤكددها . وعن هذا هلك التسوفون ، لأنهم يظنون الفرق بين المتأملين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبداً شاق ، وما مثال التسوف إلا مثال من احتاج إلى قطع شجرة فمرآها قوة لا تقطع إلا بمشقة شديدة ، فقال : أوخرها سنة ثم أعود إليها . وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه . فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقة ، إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعفه . فأنخذ ينظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضيف . وأما المعنى الرابع ، وهو انتظار عفو الله تعالى ، فعلاجه ما سبق . وهو كمن يتفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء . منتظراً من فضل الله تعالى أن يرزقه العشر على كثر في أرض غربة . فإن إمكان العشر عن الذنب مثل هذا الإمكان . وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلده ، وترك ذخائر أمواله في صحن داره ، وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل ، وقال : أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب ، حتى لا يتفرغ إلى داري ، أو إذا انتهى إل داري مات على باب الدار ، فإن الموت ممكن ، والغفلة ممكنة ، وقد حكى في الأسمار أن مثل ذلك وقع : فأنا أنتظر من فضل الله مثله . فمنتظر هذا منتظر أمر ممكن ، ولكنه في غاية الحماقة والجهل ، إذ قد لا يمكن ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كفر . وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل . وذلك بطول . ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحمد عقله فيقال له :

ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن ؟ أو تقول أعلم أنه محال ؟ كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة ؟ فإن

قال أعلم استحالة كذبت فهو أدن معنوه ، وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء . وإن قال أنا شك فيه فيقول : لو أخبرك شخص واحد مجهول ، عند تركك طعامك في البيت لحظة . هل ولت فيه حبة ، وألقت سمها فيه ، وجوزت صدقه ، فهل تأكله أو تتركه ؟ وإن كان الله الأعظم ؟ فيقول أتركه لا محالة ، لأنني أقول إن كذب فلا يمتني إلا هذا الطعام ، والصبر عنه وإن كان شديداً فهو قريب ، وإن حسنت خفوتني الحياة ، والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإساعته شديداً . يقال له : يا سيحان الله ، كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم ، مع ما ظهروا من المعجزات ، وصدق كافة الأولياء ، والعلماء ، والحكماء ، بل جميع أسلاف العقلاء ، ولست أعنى بهم جهال العوام بل قوى الأكابر ، عن صدق رجل واحد مجهول ، لعل له غرضاً فيما يقول ! فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر ، وأثبت ثواباً وعقاباً ، وإن اختلفوا في كيفيته ، فإن صدق عند أشرفت على عذاب يبقى أهد الآباد . وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهادات هذه الدنيا الفانية المكثرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلاً مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أهد الآباد . بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالنفوس ، وقدرنا طائراً يلتقط في كل ألف سنة حبة واحدة منها . فليست النفوس ، ولم يمس أهد الآباد شيئاً . فكيف يفتر رأي الغافل في التصبر مع الشهادات مائة سنة مثلاً ، لأجل سعادة تبقى أهد الآباد ! ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التوسعي المعري :

قال المنجم والطبيب كلامهما لا تبعت الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فليست بخامر أو صح قولي فاختار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه ليعين من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور ، وكان شاكاً : إن صح ما قلت قد غلصنا جميعاً ، وإلا فقد تخلصت وهلك . أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال . فإن قلت . هذه الأمور جلية ، ولكنها ليست شال إلا بالتفكر ، فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستغفلت ، وما علاج القلوب لرفعها إلى الفكر ، لا سيما من آمن بأصل

الشرع وتفصيله . فاعلم أن المانع من الفكر أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها ، وشدائدها ، وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم . وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب ، فينفر القلب عنه ، ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة .

والثاني : أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ، ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقت . فصار عقله مسخراً لشهوته ، فهو مشغول بتدبير حيلته ، وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة ؟ والفكر يمنعه من ذلك . وأما علاج هذين المانعين ، فهو أن يقول للبيه : ما أشد غيوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده ، تألماً بذكره ، مع استحقاق ثم موافقته . فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع ، وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ، ومتألم به ! .

وأما الثاني : وهو كون الفكر مفوتاً للذات الدنيا ، فهو أن يتحقق أن قوات لذات الآخرة أشد وأعظم . فيها لا آخر لها ، ولا كدورة فيها . ولذات الدنيا سريعة الدور ، وهي مشوبة بالمكدرات . فما فيها لذة صانية عن كدر . وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى ، واستراحة بمعرفته ، وطاعته ، وطول الأثر به ! ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة ، وروح الأثر بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافياً . فكيف بما يضاف إليه من نعيم الآخرة ! نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ، ولكنها بعدما يصبر عليها مدة مديدة ، وقد صار الخير ديدناً ، كما كان الشر ديدناً ، فالنفس قائلة ما عودتها تعود ، والخير عادة ، والشر لحاجة .

فإذا هذه الأفكار هي المهيجة للخوف المهيح لقوة الصبر عن اللذات . ومهيح هذه الأفكار وعظ الوعاظ ، وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر ، فيصير الفكر موافقاً للطبع ، فيميل القلب إليه . ويعبر

عن السبب الذي أوقع الموافقة بين صرع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق . إذ التوفيق هو التوفيق بين دة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة . وقد روى في حديث صحيح . أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الكفر على ماذا بُني فقال علي رضي الله عنه : بني على أربع دعائم . على الحياء ، والعسى والعقلة ، والشك . فمن جفا أحد الحق ، وجهر بالباطل ومقت العلماء . ومن عسى نسي الذكر ، ومن على جاد عن الرشيد . ومن شك غرته الأماني . فأخذته الحسرة والندامة . . . من الله ما لم يكن يحسب .

فما ذكرناه بيان لبعض آفات الله . عن التفكير وهذا القدر في التوبة كاف .

والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ..



قهرس التوبة

صفحة

الموضوع

٥	كلمة الخقق
٩	دراسة التحقيق :
	[هذا الكتاب - المؤلف - عصره - مؤلفاته - حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدهاً - منهج التحقيق]
٢١	مقدمة المؤلف
٢٣	تمهيد
٢٥	الركن الأول : في نفس التوبة
	[ويتضمن خمسة فصول]
٥٥	الركن الثاني : فيما هي التوبة (وهي السبب صفاتها وكبائرها)
	[ويتضمن أربعة فصول]
	الركن الثالث : في تمام التوبة ، وشروطها ، ودوامها إلى آخر
٩٩	العمر
	[ويتضمن خمسة فصول]
١٣٧	الركن الرابع : في دواء التوبة ، وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار .
	[ويتضمن خمسة فصول]

والحمد لله الذي بعثه بمصالحات

AL-MOS TAFI.COM